النصف الاول

من كتاب والنصف الثاني مع تمامه

ادب الدين والدنيا من قبل التصوف

تصنيف ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي اقضى القضاة

رحمة الله عليه

١٦٤٠

لصاحب الكتاب وكاتبه وهو عبد الله بن فضل

يأبى الانام رشاد النصح لهم ولم يرض ابدا بالعتب والادب

كالنار ان خمدت يعلو الاماه والصخر ان صعدت تهوي الى صبب

لا يرحمهم الله على الغو
رحمهم الله ... في شعبان
٢٠٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الطول والآلا وصلى الله على محمد خاتم الرسل
والانبيا وعلى آله وصحابته الاتقيا ه اما بعد
فان شرف المطلوب بشرف نتايجه وعظم
خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه تجب
العناية به وعلى قدر العناية به يكون اجتنا ثمرة
واعظم الامور خطرا وقدرا واعمها نفعا ورفدا
ما استقام به الدين والدنيا وانتظم به صلاح الاخرة
والاولى لان باستقامة الدين تصح العبادة وبصلاح
الدنيا تتم السعادة وقد توخيت بهذا الكتاب
الاشارة الى ادابهما وتفصيل ما اجمل من احوالهما على
اعدل الامرين من ايجاز وبسط اجمع فيه بين تحقيق
الفقها وترقيق الادبا فلا ينبوا عن فهم ولا يدق

في وهم مستشهدا من كتاب الله جل اسمه ما يقتضيه ومن سنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضاهيه ثم متبعا
ذلك بامثال الحكما واداب البلغا واقوال الشعرا
لان القلوب ترتاح الى الفنون المختلفة وتسام الفن
الواحد وقد قال علي ابن ابي طالب عليه السلم ان القلوب
تمل كما تمل الابدان فاهدوا اليها طرايف الحكمة وكان
المامون رضي الله عنه يتنقل كثيرا في داره من مكان
الى مكان وينشد قول ابي العتاهية

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال

وجعلت ما تضمنه من ذلك خمسة ابواب

فالباب الاول في فضل العقل
وذم الهوى

والباب الثاني في ادب العلم

والباب الثالث في ادب الدين

والباب الرابع في ادب الدنيا

والباب الخامس في ادب النفس

وانا استمد الله حسن معونته واستودعه حفاظ
موهبته بطوله ومشيته وهو حسبي من معين حفيظ

باب فضل العقل وذم الهوى

اعلم ان لكل فضيلة اسا ولكل ادب ينبوعا واس الفضائل
وينبوع الاداب هو العقل الذي جعله الله سبحانه
للدين اصلا وللدنيا عمادا فاوجب التكليف بكماله وجعل
الدنيا مدبرة باحكامه والف به بين خلقه مع اختلاف
هممهم ومآربهم وتباين اغراضهم ومقاصدهم وجعل
ما تعبدهم به قسمين قسما وجب بالعقل فوكده الشرع
وقسما جاز في العقل فاوجبه الشرع وكان العقل عليهما

عمادا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب
المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده
عن ردى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لكل شي دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر
عقله تكون عبادته لربه اما سمعتم قول الفاجر
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه
دينه ومروته خلقه وقال الحسن البصري رحمه
الله ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به
يوما ما وقال بعض الحكما العقل افضل مرجو والجهل
انكا عدو وقال بعض الادبا صديق كل
امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض البلغا
خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل وقال بعض

الشعراء وهو ابرهيم بن حسان

يزين الفتى في الناس صحة عقله وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه على العقل يجري علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمرء عقله فليس من الاشياء شي يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت اخلاقه ومآربه

واعلم ان بالعقل تعرف حقايق الامور ويفصل بين الحسنات
والسيات وقد ينقسم قسمين غريزي ومكتسب
فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف
لا يتجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان
وبه يمتاز الانسان من ساير الحيوان فاذا تم في الانسان
سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قال صالح بن
عبد القدوس

اذا تم عقل المرء تمت اموره وتمت اياديه وتم بناوه

وروى عن الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي
من كان عاقلا واختلف الناس فيه وفي صفته على مذاهب
شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقايق
المعلومات ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله فقالت
طايفة منهم محله الدماغ لان الدماغ محل الحواس وقالت
طايفة اخرى منهم محله القلب لان القلب معدن
الحيوة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر
لطيف فاسد من وجهين احدهما ان الجواهر متماثلة
فلا يصح ان يوجب بعضها ما لا يوجبه سايرها ولو
اوجب سايرها ما يوجبه بعضها لاستغنى العاقل
بوجود نفسه عن وجود عقله والثاني ان الجوهر
يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهرا لجاز ان يكون

عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون جسم بغير عقل فامتنع بهذين
ان يكون العقل جوهرا وقال اخرون العقل هو المدرك
للاشيا على ما هي عليه من حقايق المعنى وهذا القول
وان كان اقرب مما قبله فيبعد من الصواب من وجه واحد
وهو ان الادراك من صفات الحي والعقل عرض يستحيل
ذلك منه كما يستحيل منه ان يكون ملتذا وآلما و
مشتهيا ۝ وقال اخرون من المتكلمين العقل هو جملة
العلوم الضرورية وهذا الحد غير محصور لما تضمنه
من الاجمال وقال اخرون وهو القول الصحيح ان
العقل هو العلم بالمدركات الضرورية
وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك الحواس والثاني
ما كان مبتدا في النفوس فاما ما كان واقعا عن درك
الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر والاصوات

المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح
المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان
الانسان ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشيا ثبت له
هذا النوع من العلم لان خروجه في حال تغميض عينيه
من ان يدرك بهما ويعلم لا يخرجه من ان يكون
كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك لعلم
فاما ما كان مبتدا في النفوس فكالعلم بان الشي لا يخلوا
من وجود او عدم وان الموجود لا يخلوا من حدوث
او قدم وان من المحال اجتماع الضدين وان
الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا
يجوز ان ينفى عن العاقل مع سلامة حاله وكمال
عقله واذا صار عالما بالمدركات الضرورية من
هذين النوعين فهو كامل العقل وسمي بذلك تشبيها

بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على
شهواته اذا قبحت كما يمنع العقال الناقة عن الشرود
ان نفرت ولذلك قال عامر بن عبد قيس اذا عقلك
عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل وقد جاءت السنة
بما يؤيد هذا القول في العقل وهو ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور
في القلب يفرق به بين الحق والباطل وكل من نفى
ان يكون العقل جوهرا اثبت محله في القلب لان القلب
محل العلوم كلها قال تعالى افلم يسيروا في الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه الاية
على امرين احدهما ان العقل علم والثاني ان محله
القلب وفي قوله يعقلون بها تاويلان احدهما
يعلمون بها والثاني يعتبرون بها فهذا جملة القول

في العقل الغريزي واما العقل المكتسب فهو
نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة
واصابة الفكرة وليس لهذا حد لانه ينمي ان استعمل
وينقص ان اهمل ونماؤه يكون باحد وجهين اما بكثرة
الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى او صاد عن
شهوة كالذي يحصل لذوي الاسنان من الحنكة
وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الامور
ولذلك حمدت العرب اراء الشيوخ حتى قالوا
المشايخ اشجار الوقار ومنابع الاخبار لا يطيش لهم
سهم ولا يسقط لهم وهم ان راوك في قبيح صدوك
وان ابصروك على جميل امدوك وقالوا عليكم
باراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد
مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدق لاسماعهم

آثار الغيرة وقيل في منثور الحكم من طال عمره نقصت
قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه لا تدع
الأيام جاهلا إلا أدبته وقال بعض الحكما
كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الأيام عظة وقال
بعض البلغاء التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة
الجهل وقال بعض الأدباء كفى مخبرا عما بقي ما مضى
وكفى عبرا لأولي الألباب ما جربوا وقال بعض الشعراء

ألم تر أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

إذا طال عمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في كرها عقلا

وأما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء
وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس في زمان غير
مهمل للحدس فإذا امتزج بالعقل الغريزي صار
نتيجتهما نمو العقل المكتسب كالذي يكون في

الأحداث من وفور العقل وجودة الرأي حتى قال
هرم بن قطبة حين تنافر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة
بن علاثة عليكم بالحديث السن الحديد الذهن ولعل
هرما أراد أن يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال
لكن لم ينكر أقوله إذ عانا للخصو فصارا إلى أبي جهل لحداثة
سنه وحدة ذهنه فأبى أن يحكم بينهما فرجعا
إلى هرم فحكم بينهما وفيه يقول لبيد

يا هرم ابن الأكرمين منصبا ... إنك قد أوتيت حكما معجبا

ومن مقالات العرب عليكم بمشاورة الأحداث فإنهم
ينتجون رأيا لم يفله طول القدم ولا استولت
عليه رطوبة الهرم وقال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا ... ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسمته ... حوى الآباء أنصبة البنينا

حكى الاصمعي قال قلت لغلام حدث من اولاد
العرب كان يحادثني وقد امتعني بفصاحته وملاحته
ايسرك ان تكون لك مائة الف درهم وانك احمق
قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجني علي
حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي فانظر
الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط
بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو
اكبر منه سنا واكثر تجربة واحسن من هذا
الذكا والفطنة ما حكى ابن قتيبة ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد
الله بن الزبير فهربوا منه الا عبد الله فقال له
عمر رضي الله عنه ما لك لم تهرب مع اصحابك فقال
يا امير المومنين لم اجرم فاخافك ولم يكن الطريق

بضيق فاوسع لك انظر الى هذا الجواب وما تضمن
من الفطنة وقوة المنة وحسن البديهة وكيف
نفى عنه اللوم واثبت له الحجة وليس للذكا غاية
ولا لجودة القريحة نهاية حكي ان سليمان
ابن عبد الملك امر الفرزدق بضرب اعناق اسارى
الروم فاستعفاه الفرزدق فلم يفعل واعطاه سيفا
لا يقطع شيئا فقال الفرزدق بل اضربهم بسيف ابي
رغوان مجاشع يعني سيف نفسه فقام فضرب
عنق رومي منهم فنبا السيف عنه فضحك سليمان ومن
حوله فقال الفرزدق

ايعجب الناس ان اضحكت سيدهم خليفة الله يستسقى به المطر
لم ينب سيفي من رعب ولا دهش عن الاسير ولكن اخر القدر
ولن يقدم نفسا قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

ثم غمد سيفه وهو يقول

ما ان يعاب سيد اذا صبا ولا يعاب صارم اذا نبا

ولا يعاب شاعر اذا كبا ثم جلس وهو يقول

كاني بابن المراغة التي مد هجاني فقال

بسيف ابي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وقام فانصرف وحضر جرير بخبر الخبر ولم ينشد

الشعر فانشا يقول

بسيف ابي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ثم قال يا امير المومنين كاني بالفرزدق يا ابن القين وقد

اجابني فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم

فاستحسن سليمان حدس الفرزدق على جرير ثم اخبر الفرزدق

بشعر جرير ولم يخبر بحدسه فقال الفرزدق

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط التمائم

ولن نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم ابا عن كليب او اخا مثل دارم

فشاع حديث الفرزدق وهذا اخبرني جلي ان المهدي

رضي الله عنه اتي باسارى من الروم فامر بقتلهم وكان

عنده شبيب بن شيبة فقال اضرب عنق

هذا العلج فقال يا امير المومنين من عرفت ما ابتلي به

الفرزدق فعيرته قومه الى اليوم فقال انما اردت

تشريفك وقد اعفيتك وكان ابو الهول الشاعر

حاضرا فقال

جزعت من الرومي وهو مقيد فكيف ولو لاقيته وهو مطلق

دعاك امير المومنين لقتله فكاد شبيب عند ذلك يبرق

فنح شبيبا عن قراع كتيبة وادن شبيبا من كلام ملفق

وليس التعجب من جبر الفرزدق ان صح من جودة
القريحتين لكن من اتفاق الخاطرين ومثل ذلك
قالت الحكما انه العقل سرعة الفهم وغاية اصابته
الوهم وليس بمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر
عجز عن جواب وان اعضل كما قيل لعلي عليه السلم
كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم
قال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل لعبد
الله بن العباس رضي الله عنه اين تذهب الارواح
اذا فارقت الاجساد فقال اين تذهب نار المصابيح
عند فنا الادهان وهذان الجوابان جوابا اسكات
تضمنا دليل اذعان وحجتي قهر ومن غير هذا
الفن وان كان مستحسنا ما حكي ان ابليس لعنه الله
حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلم فقال له الست

تقول انه لن يصيبك الا ما كتب الله عليك قال نعم
قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر
لك السلامة تسلم فقال له يا ملعون لله ان يختبر
عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا الجواب
لا يستغرب من انبيا الله الذين امدهم بوحيه وايدهم
بنصره وانما يستغرب ممن يلجا الى خاطره ويعول على
بديهته وروى قثم بن العباس قال قيل لعلي
بن ابي طالب عليه السلم كم بين السما والارض قال دعوة
مستجابة قال فكم بين المشرق والمغرب قال
مسيرة يوم للشمس وكان هذا السوال من سايله
اما اختبارا واما استبصارا فصدر عنه من الجواب
ما اسكت فاما اذا ما اجتمع هذان الوجهان في العقل
المكتسب وهو مما ينميه فرط الذكا بجودة الحدس

وصحة القريحة بحسن البديهة مع ما يمسه الاستعمال
بطول التجارب ومرور الزمان بكثرة الاختبار
فهو العقل الكامل على الاطلاق من الرجل الفاضل بالاستحقاق
روى انس ابن مالك قال اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم بخير فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله
ان من عبادته ان من خلقه ان من فضله فقال كيف
عقله فقالوا يا رسول الله نثني عليه بالعبادة واصناف
الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله ان الاحمق
العابد يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب
الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم ۞ واختلف
الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل يكون
فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون فضيلة لان الفضايل
هيات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما ان الخير

توسط بين رذيلتين فما جاوز التوسط خرج عن حد
الفضيلة وقد قال الحكما للاسكندر ايها الملك عليك
بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان
عجز هذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى
الله عليه قال خير الامور اوسطها وقال علي
بن ابي طالب عليه السلم خير الامور النمط الاوسط اليه
يرجع الغالي ومنه يلحق التالي وقال الشاعر
لا تذهبن في الامور فرطا لا تسالن ان سالت شططا
وكن من الناس جميعا وسطا قالوا ولان زيادة العقل
تفضي بصاحبها الى الدها والمكر وذلك مذموم وصاحبه
ملوم وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى
الاشعري ان يعزل زيادا اعز ولاته فقال زياد يا امير
المومنين اعن موجدة ام خيانة فقال لا عن واحدة منهما

ولكن خفت ان احمل على الناس فضل عقلك ومن اجل هذا الحكى
عن عمر ما قيل قديما افراط العقل مضرة بالجسد
وقد قال بعض الحكما لهاك من عقلك ما دلك
على سبيل رشدك وقال بعض البلغاء قليل يكفي
خير من كثير يطغي وقال اخرون وهو اصح القولين
زيادة العقل فضيلة لان المكتسب غير محدود
وانما تكون زيادة الفضايل المحدودة نقصا مذموما
لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع اذا
زاد على حد الشجاعة نسب الى التهور والسخي
اذا زاد على حد السخا نسب الى التبذير وليس كذلك
حد العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم
بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم
يكن الى ان يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل
الناس وروي عنه عليه السلم انه قال العاقل حيث
كان الوف مالوف ه وقد قيل في تاويل قوله تعالى
قل كل يعمل على شاكلته اي بحسب عقله وقال
القسم بن محمد كانت العرب يقول من لم يكن عقله اغلب
خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر
عليه وقيل في منثور الحكم كل شي اذا كثر رخص
الا العقل فانه اذا كثر غلا وقال بعض البلغا
ان العاقل من عقله في ارشاد ومن رايه في امداد فقوله
سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغواء
ومن هواه في اغرا فقوله سقيم وفعله ذميم
وانشدني ابن لنكك لابيه
من لم يكن اكثره عقله اهلكه اكثر ما فيه

فاما الدهاة والمكر فمذموم لان صاحبه صرف
فضل عقله الى الشر ولو صرفه الى الخير كان محمودا
وقد ذكر المغيرة عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال كان والله افضل من ان يخدع واعقل
من ان يخدع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لست بالخب ولا يخدعني الخب واختلف الناس
فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد واشباهه من
الدهاة هل يسمى الداهية منهم عاقلا ام لا فقال
بعضهم اسميه عاقلا لوجود العقل فيه وقال اخرون
لا اسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا لان الخير
والدين من موجبات العقل فاما الشرير فلا
اسميه عاقلا وانما اسميه صاحب روية وفكر وقد
قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه حتى قال

اصحاب الشافعي فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انه
يكون مصروفا الى الزهاد لانهم انقادوا للعقل
ولم يغتروا بالامل وروى لقمن بن عامر عن ابي الدردا
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا عويمر ازدد
عقلا تزدد من ربك قربا قلت بابي انت وامي ومن
لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله
تكن عاقلا ثم تنفل صالحات الاعمال تزدد في الدنيا
عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزا وانشدني بعض
اهل الادب هذه الابيات وذكر انها لعلي بن ابي طالب عليه السلام
ان المكارم اخلاق مطهرة فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها
والنفس تعلم اني لا اصدقها ولست ارشد الا حين اعصيها

والعين تعلم في عيني محدثها من كان من حزبها او من اعاديها
واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه
نتيجة منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل
المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضايل موفور
الرذايل كالانوك الذي لا تجد له فضيلة والاحمق
الذي قل ما تخلو منه رذيلة وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه
اذ حرمه اعز الاشيا عليه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب
وقال بعض الحكما الحاجة الى العقل اقبح من
الحاجة الى المال وقال بعض البلغا دولة الجاهل
عبرة العاقل وقال انوشروان لبزرجمهر اي الاشيا
خير للمرء قال عقل يعيش به قال فان لم يكن قال

فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فمال يتحبب
به الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت قال فان
لم يكن قال فموت جارف وقال سابور بن اردشير العقل
نوعان احدهما مطبوع والاخر مسموع ولا يصلح
واحد منهما الا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعرا فقال

رايت العقل نوعين فمسموع ومطبوع
ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع العين وضوء الشمس ممنوع

وقد وصف بعض الادبا العاقل بما فيه من الفضايل
والاحمق بما فيه من الرذايل فقال العاقل اذا والى بذل
في المودة نصره واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد
مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله ان احسن
الى احد ترك المطالبة بالشكر وان اسا اليه مسي سبب

لما سباب العذر او منحه الصفح والعفو والاحمق ضال
مضل ان اونس تكبر وان اوحش تكدر وان استنطق تخلف
وان ترك تكلف مجالسته مهنه ومعاتبته محنه
ومجاورته تعر وموالاته تضر ومقاربته عمى ومقارنته
شقا وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته
مع جاهل والاحمق يسي الى غيره ويظن انه قد
احسن اليه فيطالبه بالشكر ويحسن اليه فيظن انه قد
اسا اليه فيطالبه بالوتر فمساوي الاحمق لا تنقضي
وعيوبه لا تتناهى ولا يقف النظر منها الى غاية الا
لوحت مما وراها بما هو ادنى منها واردى وامر وادهى
فما اكثر العبر لمن نظر وانفعها لمن اعتبر وقال الاحنف
بن قيس من كل شي يحفظ الاحمق الا من نفسه وقال
بعض البلغاء ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق

وادبرت عن العاقل بالاستحقاق فان اتتك منها اسهمه
مع جهل او فاتتك فيها بغيه مع عقل فلا يحملك ذلك
على الرغبة في الجهل والزهد في العقل فدولة الجاهل من
الممكنات ودولة العاقل من الموجبات وليس من امكنه
شي من ذاته كمن استوجبه بآلته وادواته وبعد فدولة
الجاهل كالغريب الذي يحن الى النقلة ودولة العاقل
كالنسيب الذي يحن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة جليلة
نالها بغير عقل او منزلة رفيعة حلها بغير فضل
فان الجهل ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته
ويرده الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه
ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا واعلم ان الحسب
ما ينتشر من فضايل العاقل كذلك يظهر من رذايل الجاهل
حتى يصير مثلا في الغابرين وحديثا في الاخرين

مع فتكته في عصره وقبح ذكره في دهره كالذي رواه
عطا عن جابر قال كان في بني اسرائيل رجل له
حمار فقال يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري
هذا فهم به نبي من انبياء الله فاوحى الله تعالى اليه
انما اثيب كل انسان على قدر عقله واستعمل معوية
رضي الله عنه رجلا من كلب فذكر المجوس يوما عنده
فقال لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم والله لو اعطيت
عشرة الاف درهم ما نكحت امي فبلغ ذلك معاويه
فقال قبحه الله اترونه لو زادوه فعل وعزله
وولى الربيع العامري وكان من النوكى منابر اليمامة
فاقاد كلبا بكلب فقال فيه الشاعر
شهدت بان الله حقا لقاؤه وان الربيع العامري رقيع
اقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع دما كلاب المسلمين تضيع

وليس لمعار الجهل غاية ولا لمضار الحمق نهاية وقد قال الشاعر
لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها

فصل فاما الهوى فهو عن
الخير صاد وللعقل مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبائحها
ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروة مهتوكا
ومدخل الشر مسلوكا قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنه الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلا افرايت
من اتخذ الهه هواه وقال عكرمة في قوله ولكنكم
فتنتم انفسكم يعني بالشهوات وتربصتم يعني بالتوبة
وارتبتم يعني في امر الله وغرتكم الاماني بالتسويف
حتى جاء امر الله يعني الموت وغركم بالله الغرور
يعني الشيطان وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء وقال

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقذعوا هذه النفوس
عن شهواتها فانها طلاعة تنزع الى شر غاية ان هذا
الحق ثقيل مري وان الباطل خفيف وبي وترك
الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت
شهوة وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا وقال علي
بن ابي طالب عليه السلم اخاف عليكم اثنتين اتباع الهوى
وطول الامل فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول
الامل ينسي الاخرة وقال الشعبي انما سمي الهوى هوى
لانه يهوي بصاحبه وقال اعرابي الهوى هوان
ولكن غلط باسمه فاخذه الشاعر وقال
ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا
وقيل في منثور الحكم من اطاع هواه فقد اعطى
عدوه مناه وقال بعض الحكما العقل صديق

مقطوع والهوى عدو متبوع وقال بعض البلغا افضل
الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه وقال
هشام بن عبد الملك بن مروان
اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى كل ما فيه عليك مقال
قال ابن المعتز لم يقل هشام بن عبد الملك غير هذا البيت
قال الشاعر
اذا ما رايت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد اشمت الاعدا جهلا بنفسه وقد وجدت فيه مقالا عواذله
وما يردع النفس اللجوج عن الهوى من الناس الا حازم الراي كامله
فلما كان الهوى غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل
العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته
ويدفع سطوة بادرته ويوضح خداع حيلته لان
سلطان الهوى قوي ومدخل مكره خفي ومن هذه

الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه
اعني فاحد الوجهين قوة سلطانه والاخر
خفا مكره فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان
الهوى بكثرة دواعيه حتى تستولي عليه مغالبة
الشهوات فيكل العقل عن دفعها ويضعف عن
منعها مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها وهذا
يكون في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة
شهواتهم ولكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم وانهم ربما
جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير
كل يرى ان الشباب له في كل مبلغ لذة عذر
ولذلك قال بعض الحكما الهوى ملك غشوم ومتسلط
ظلوم وقال بعض الادبا الهوى عسوف والعدل
مالوف وقال بعض الشعراء

يا عاقلا اردى الهوى عقله ما لك قد سدت عليك الامور
اتجعل العقل اسير الهوى وانما العقل عليه امير
وحسم ذلك ان يستعين العاقل بالله تعالى ويعلم
النفس ويشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر
وقبح الاثر وكثرة الاجرام وتراكم الاثام فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات اخبر ان الطريق الى
الجنة احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع الشهوات
وقال علي بن ابي طالب عليه السلم اياكم وتحكيم الشهوات
على انفسكم فان عاجلها ذميم واجلها وخيم فان لم
تريها انقيادا بالتخويف والارهاب فسوفها بالتامل
والارغاب فان الرغبة والرهبة اذا اجتمعا على
النفس ذلت لهما وانقادت وقد قال ابن السماك

كن لهواك مسوفا ولعقلك مسعفا وانظر ما تسوء
عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس
وما تهوى داؤها وترك ما تهوى دواؤها فاصبر
على الداء المر تخاف من الدواء وقال الشاعر

صبرت على الايام حتى تولت والزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان اطعمت تاقت والا تسلت

فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى
لم يلبث الهوى ان يصير بالعقل مدحورا وبالنفس مقهورا
ثم له الحظ الاوفر في ثواب الخالق وثناء المخلوقين
قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال الحسن
البصري افضل الجهاد جهاد الهوى وقال بعض
الحكماء اعز العز الامتناع عن ملك الهوى وقال بعض

البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه وعصى
هواه في طاعة ربه وقال بعض الادباء من
اماتت شهوته احيا مروته وقال بعض العلماء ركب الله
الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة
بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله شهوته
فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر
من البهائم وقيل لبعض الحكماء من اشجع الناس واحراهم
بالظفر في مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة
لربه واحترس من ورود خواطر الهوى على قلبه وقال
بعض الشعراء

قد يدرك الحازم ذو الراي المنى بطاعة الحزم وعصيان الهوى

واما الوجه الثاني فهو ان يخفي الهوى مكره حتى تموه افعاله
على العقل فيتصور القبيح حسنا والضرر نفعا وهذا

يدعوا اليه احد شيئين اما ان يكون للنفس ميل
الى ذلك الشي فيخفى عنها القبيح لحسن ظنها ويتصوره
حسنا لشدة ميلها ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم حبك الشي يعمي ويصم اي يعمي عن الرشد ويصم
عن الموعظة وقال علي عليه السلم الهوى عمي
وقال الشاعر   حسن في كل عين من توده
وقال عبد الله بن معوية بن عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب
ولست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
واما السبب الثاني فهو استثقال الفكر في تميز ما اشتبه
وطلب الراحة في اتباع ما يسهل حتى يظن ذلك اوفق
امريه واحمد حاليه اغترارا بان الاسهل محمود والاعسر
مذموم فلن يعدم ان يتورط بخدع الهوى وزينة

المكن في كل مخوف حذر وعمكروه عسر ولذلك
قال عامر بن الظرب الهوى يقظان والعقل راقد
فمن نام عقله غلب وقال سلمن بن وهب الهوى امتع
والراي انفع وقيل في المثل العقل وزير ناصح
والهوى وكيل فاضح وقال الشاعر
اذا المرء اعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت الى باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذي دعته اليه من حلاوة عاجل
وحسم السبب الاول ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينيه
فالعين رائد الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب
رائد الحق والحق من دواعي العقل وقال بعض الحكما نظر
الجاهل بعينه وناظره ونظر العاقل بقلبه وخاطره
ثم يتهم نفسه في صواب ما احبت وتحسين ما اشتهت
ليتضح له الصواب ويتبين له الحق فان الحق اثقل محملا

واصعب مركبا فان اشكل عليه امران اجتنب احبهما اليه
وترك اسهلهما عليه فان النفس عن الحق انفر وللهوى
آثر وقد قال العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنه اذا اشتبه عليك امران فدع احبهما اليك وخذ
اثقلهما عليك وعلة هذا القول هو ان الثقيل
يبطئ النفس عن التسرع اليه فيتضح مع الابطاء وتطاول
الزمان صواب ما استعجم وظهور ما استبهم وقد
قال علي ابن ابي طالب عليه السلام من نظر ابصر
والمحبوب السهل تسرع النفس اليه وتعجل بالاقدام
عليه فيقصر الزمان عن تصفحه ويفوت استدراكه
لتقضي فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة
بعد الفوت وقد قال بعض الحكما ما كان عنك معرضا
فلا تكن به متعرضا وقال الشاعر

اليس طلاب ما قد فات جهلا او ذكر المرء ما لا يستطيع
ولقد وصف بعض البلغا حال الهوى وما تفارقه
من محن الدنيا فقال الهوى مطية الفتنة والدنيا
دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم واعرض عن الدنيا
تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتنك
دنياك بحسن العواري فمدة اللهو تنقطع وعارية
الدهر ترتجع ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم
وتكتسبه من المآثم وقال علي بن عبد الله
الجعفري سمعتني امراة بالطواف وانا انشد
اهوى هوى الدين واللذات تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين
فقالت هما ضرتان فذر ايتهما شئت وخذ الاخرى
فاما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة
والمعلول واتفاقهما في الدلالة والمدلول فهو ان الهوى

بحصن ما لاراء والاعتقادات والشهوة تختص بنيل المستلذات

فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي اخص والهوى

اصل وهي اعم ونحن نسال الله تعالى ان يكف عنا دواعي

الهوى ويصرف عنا سبل الردى ويجعل التوفيق

لنا قائدا والعقل لنا مرشدا فقد حكي ان الله

تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلم عظ نفسك

فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال

محمد بن بشير

ما من روى ادبا فلم يعمل به ويكف عن زيغ الهوى باديب

حتى يكون بما تعلم عاملا من صالح ويكون غير معيب

ولقل ما تغني اصابة قايل افعاله افعال غير مصيب

وقال اخر

ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

حكى ابو عروة ان طارقا صاحب شرطة خالد القسري

مر بابن شبرمة وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة

اراها وان كانت تحب كانها سحابة صيف عن قليل تقشع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة على القضا

بعد ذلك فقال له ابنه اتذكر قولك يوم كذا اذ مر

بك طارق في موكبه فقال يا بني انهم يجدون مثل

ابيك ولا يجد ابوك مثلهم ان اباك اكل من حلوائهم

فحط في اهوائهم اما ترى هذا الدين الفاضل كيف عوجل

بالتقريع وقوبل بالتوبيخ من اخص ذويه ولعله من ابر

بنيه فكيف بنا ونحن اطلق منه عنانا واقوى واقلق

منه جنانا اذا رمقتنا اعين المتتبعين وشانا ولسنا

الشرّ المتعنتين هل تجد غير توفيق الله ملاذا وسوى
عصمته معاذا

باب أدب العلم

اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل
ما طلبه وجدّ فيه الطالب وأنفع ما كسبه واقتناه
الكاسب لأن شرفه يُثمر على صاحبه وفضله ينمي عند
طالبه قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون فمنع من المساواة بين العالم والجاهل
لما قد خُصّ به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وما
يعقلها إلا العالمون فنفى أن يكون غير العالم يعقل
عنه أمرا أو يفهم عنه زجرا وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام
إني عليم أحب كل عليم وروى أبو أمامة قال سئل رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين أحدهما عالم والآخر
عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على
العابد كفضلي على أدناكم رجلا وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام الناس أبناء ما يحسنون وقال مصعب
بن الزبير لابنه تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك
جمالا وإن لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد
الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة
فقتم وإن كنتم وسطا سدتم وإن كنتم سوقة عشتم
وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والأدب
مال لا خوف عليه وقال بعض الأدباء العلم أفضل خلف
والعمل به أكمل شرف وقال بعض البلغاء تعلم العلم
فإنه يقوّمك ويسددك صغيرا ويقدمك
ويسودك كبيرا ويصلح زيغك وفاسدك ويرغم

عدوك وحاسدك ويقوم عوجاجك ويميلك وينصح
بنفسك واملك وقال علي عليه السلم قيمة
كل امرئ ما يحسنه فاخذه الخليل فنظمه شعرا
فقال
لا يكون العلي مثل الدني لا ولا ذو الذكا مثل الغبي
قيمة المرء قدر ما يحسن المرء قضاء من الامام علي
وليس يعرف فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم
انما يعرف بالعلم وهذا ابلغ في فضله لان فضله
لا يعلم الا به فلما عدم الجهال العلم الذي به يصلون
الى فضل العلم جهلوا فضله واسترذلوا اهله
وتوهموا انما تميل اليه نفوسهم من الاموال المعتاده
والطرف المستحاة اولى ان يكون اقبالهم عليها
واحرى ان يكون اشتغالهم بها وقد قال ابن المعتز في منثور
الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل

لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله
انصرفوا عن العلم واهله انصراف الزاهدين
وانحرفوا عنه وعنهم انحراف المعاندين لان
من جهل شيا عاداه وانشدني ابن لنكك لابن دريد
وهو ابو بكر ابن دريد
جهلت فعاديت العلوم واهلها كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى ان يرى متصدرا ويكره لا ادري اصيبت مقاتله
وقيل لبزرجمهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا
نرى العلما على ابواب الاغنيا ولا نكاد نرى الاغنيا
على ابواب العلما فقال ذلك لمعرفة العلما بمنفعة
المال وجهل الاغنيا بفضل العلم وقيل لبعض الحكما
لم لا يجتمع العلم والمال فقال لعز الكمال
وانشدني لبعض اهل العصر

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحيى بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور
ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا
علينا بما لا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا فاخرج
له طعام ونفقة فقال فاقتي الى كلامكم اشد حاجة
من حاجتي الى طعامكم اني طالب هدى لا طالب ندى
فاذن له العالم وافاده من كل ما سال عنه فخرج جذلان
فرحا وهو يقول علم اوضح لبسا خير من مال اغنى
نفسا واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها
فضيلة والاحاطة بجميعها محال ۞ قيل لبعض الحكما
من يعرف كل العلم فقال كل الناس وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد
بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله

فيها حيث يقول جل من قائل وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وقال بعض الحكما لو كنا نطلب العلم
لنبلغ غايته كنا قد بدانا العلم بالنقيصة ولكنا نطلبه
لننقص في كل يوم من الجهل ونزداد في كل يوم من
العلم وقال بعض العلما المتعمق في العلم كالسابح في البحر
ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا وقيل
لحماد الراوية اما تشبع من هذه العلوم فقال استفرغنا
فيها المجهود فلم نبلغ منها المحدود ونحن كما قال الراجز
اذا قطعنا علما بدا علم ۞ وانشد الرشيد بيتين عن
المهدي وقال اراهما له
يا نفس خوضي بحار العلم او غوصي فالناس من بين معموم ومخصوص
لا شي في هذه الدنيا نحيط به الا احاطة منقوص بمنقوص
واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب الاهتمام به

من فرض الرغبة الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها
وهو علم الدين لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهله
يضلون اذ لا تصح عبادة جاهل فاعلها بصفات ادائها
ولم يعلم شروط اجزائها ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان
كذلك لان العلم يبعث على فضل العبادة والعبادة
مع خلو فاعلها من العلم بها لا تكون عبادة فلزم علم
الدين كل مكلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه
طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تاويلان
احدهما علم ما لا يسع جهله من العبادات والثاني جملة
العلم اذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية وهو اذا كان
علم الدين قد اوجب الله تعالى فرض بعضه على
الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان اولى ثم لم يجب

فرضه على الاعيان ولا على الكافة قال الله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
روى عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى
والاخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما احب الي من
صاحبه اما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسالونه
فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما المجلس الاخر
فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما
وجلس الى اهل الفقه وروى مروان بن جناح عن
يونس بن ميسرة عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
الخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا

يفقهه في الدين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خيار امتي علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها
وروى معاذ بن رفاعة عن ابرهيم بن عبد الرحمن
العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه
تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين
وروى عن النبي صلى الله عليه انه قال على خلفاي
قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها
عباد الله وروى حميد عن انس ان النبي صلى الله
عليه قال الفقه في الدين حق على كل مسلم
الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا
وروى سليمان بن يسار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه

في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه وربما
مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية وراى
انها احق بالفضيلة واولى بالتقدمة استثقالا لما
تضمنه الدين من التكليف واسترذالا لما جاء به الشرع
من التعبد والتوقيف والكلام مع مثل هذا في اصل
لا يتسع له هذا الفصل فلن نرى ذلك فيمن سلمت
فطنته وصحت رويته لان العقل يمنع ان يكون الناس
هملا او سدى يعتمدون على ارائهم المختلفة
وينقادون لاهوائهم المتشعبة لما تؤول اليه
امورهم من الاختلاف والتنازع وتفضي اليه احوالهم
من التباين والتقاطع فلم يستغنوا عن دين يتالفون به و
يتفقون عليه ثم العقل موجب له او مانع

ولو تصور هذا المختل النقص ان الدين ضرورة
في العقل وان العقل الدين اصل لقصر عن التقصير
واذعن للحق ولكن اهمل نفسه فضل واضل وقد تتعلق
بالدين علوم قد بين الشافعي رحمه الله فضيلة كل
واحد منها فقال من تعلم القران عظمت قيمته
ومن تعلم الفقه نبل مقداره ومن كتب الحديث
قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رايه ومن
تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه
علمه ولعمري ان صيانة النفس اصل الفضايل
لان من اهمل صيانة نفسه ثقة بما منحه العلم من
فضيلته وتوكلا على ما يلزم الناس من صيانته
سلبوه فضيلة علمه ووسموه بقبيح تبذله فلم
يف ما اعطاه العلم بما سلبه التبذل لان

القبيح انم من الجميل والرذيلة اشهر من الفضيلة
لان الناس لما في طباعهم من بغضة الحسد ونزاع
المنافسة تنصرف عيونهم عن المحاسن الى المساوي
فلا ينصفون محسنا ولا يحابون مسيئا لاسيما من كان
بالعلم موسوما واليه منسوبا فان زلته لا تقال وهفوته
لا تعذر اما لقبح اثرها واغترار الكثير من
الناس بها فقد قيل في منثور الحكم زلة العالم كالسفينة
تغرق ويغرق معها خلقا كثيرا وقيل لعيسى بن
مريم عليه السلم من اشد الناس فتنة قال زلة
العالم اذا زل بزلته عالم كثير فهذا وجه ولان
اهل الجهل بذمه اغرى وعلى تنقصه احرى ليسلبوه
فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصيص عنادا
لما جهلوه ومقتا لما باينوه لان الجاهل يرى العلم

نكلفا ولوما كما ان العالم يرى الجهل تخلفا وذما
وانشدني عن الربيع للشافعي رحمه الله

ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه ازهد منه فيه
اذا غلب الشقا على سفيه تنطع في مخالفة الفقيه

وقال يحيى بن خالد لابنه يا بني عليك بكل نوع من
العلم فخذ منه فان المرء عدو ما جهل وانا
اكره ان تكون عدو شي من العلم وانشد

تفنن وخذ من كل علم فانما يفوق امرؤ في كل فن له علم
فانت عدو للذي انت جاهل به ولعلم انت تتقنه سلم

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل
ما يلزمها من تغيير الموالي ونقص المعاند وجمع الى
فضيلة العلم جمال الصيانة وعز النزاهة فصار بالمنزلة

التي يستحقها بفضايله وروى ابو الدرداء ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال العلما ورثة الانبيا لان الانبيا
لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وروى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانبيا على
العلما فضل درجتين وللعلما على الشهدا فضل درجة
وقال بعض البلغا ان من الشريعة ان تجل اهل
الشريعة ومن الصنيعة ان ترب حسن الصنيعة فينبغي
لمن استدل بفطرته على استحسان الفضايل واستقباح
الرذايل ان ينفي عن نفسه رذايل الجهل بفضايل العلم
وغفلة الاهمال باستيقاظ المعاناة ويرغب في العلم
رغبة متحقق لفضايله واثق بمنافعه ولا يلهيه
عن طلبه كثرة مال وجدته ولا نفوذ امر وعلو
منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ومن

علت منزلته فهو بالعلم احق روى انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الحكمة تزيد الشريف
شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه في مجالس
الملوك وقال بعض الادبا كل عز لا يوطده
علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة وقال
بعض علما السلف اذا اراد الله بالناس خيرا جعل
العلم في ملوكهم والملك في علمايهم وقال بعض العلما
العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم
الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية
فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويستبطنوا اهله فاما
المال فظل زايل وعارية مسترجعة وليس
في كثرته فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص
الله تعالى به من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته

فقد كان اكثر انبيا الله مع ما خصهم به من كرامته
وفضلهم على سائر خلقه فقرا لا يجدون بلغة
ولا يقدرون على شي حتى صاروا في الفقر
مثلا وقال البحتري

فقر كفقر الانبيا وغربة وصبابة ليس البلا بواحد

ولعدم الفضيلة في المال ما منحه الله للكافر وحرمه
المومن قال الشاعر

كم كافر بالله امواله تزداد اضعافا على كفره
ومومن ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره
يا لايم الدهر وافعاله مشتغلا يزري على دهره
الدهر مامور له امر ينصرف الدهر الى امره

وقد بين علي ابن ابي طالب عليه السلم فضل ما بين
العلم والمال فقال العلم خير من المال العلم يحرسك

وانت تحرس المال العلم حاكم والمال محكوم عليه
مات خزان المال وبقي خزان العلم اعيانهم مفقودة
واشخاصهم في القلوب موجودة وسيل بعض العلما
ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا
ايما افضل المال ام العقل وقال صالح بن عبد القدوس
لا خير فيمن كان خير ثيابه في الناس قولهم غني واجد
وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبر سنه
واستحيا من تقصيره في صغره ان يتعلم في كبره فرضي
بالجهل ان يكون موسوما به واثره على العلم ان يصبح
مبتديا به وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل لان
العلم اذا كان فضيلة فرغبة ذوي الاسنان فيه اولى
من ان يكون شيخا جاهلا والابتدا بالفضيلة فضيلة
ولان يكون شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا

جاهلا وحكي ان بعض العلما راى شيخا يحب النظر
في العلم ويستحيي فقال يا هذا انستحيي ان تكون في اخر
عمرك افضل مما كنت في اوله وذكر ان ابرهيم بن المهدي
دخل على المامون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه
فقال يا عم ما عندك فيما يقول هولا فقال يا امير
المومنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال
لم لا تتعلمه اليوم قال او يحسن بمثلي طلب العلم قال
نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا
بالجهل قال والى متى يحسن بي طلب العلم قال ما حسنت
بك الحيوة ولان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل
عذر لانه لم تطل به مدة التفريط ولا استمرت
عليه ايام الاهمال وقد قيل في منثور الحكم جهل
الصغير معذور وعلمه محقور واما الكبير فالجهل

بِه اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا لم يكسبه
فضلا ولم يفده علما وكانت ايامه في الجهل ماضية
ومن الفضل خالية كان الصغير افضل منه لان الرجا
له اكثر والامل فيه اظهر وحسبك نقصا في رجل
يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه انشدني

لبعض اهل الادب

اذا لم يكن مر السنين مترجما عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما ولا فضلا
ارى الدهر من سوء التصرف مائلا الى كل ذي جهل كان به جهلا

وربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة وشغله اكتسابها
عن التماس العلم وهذا وان كان اعذر من غيره مع انه
قل ما يكون ذلك الا عند ذي شره رغيب وشهوة
مستعبدة فينبغي ان يصرف الى العلم حظا من زمانه
فليس كل الزمان زمان اكتساب ولا بد للمكتسب
من اوقات استراحة وايام عطلة ومن صرف كل
نفسه الى الكسب حتى لم يترك لها فراغا الى غيره
فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء فترة فمن
كانت فترته الى العلم فقد نجا وروي عن النبي
صلى الله عليه انه قال كونوا علماء صالحين فان
لم تكونوا علماء فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على
الهدى او يردكم عن الردى وقال بعض العلماء من
احب العلم احاطت به فضائله وقال بعض الحكماء
من صاحب العلماء وقر ومن جالس السفهاء حقر
وربما منعه من طلب العلم ما يظنه من صعوبته وبعد
غايته ويخشى من قلة ذهنه وبعد فطنته وهذا

الظن اعتذار ذوي النقص وخيفة اولي العجز لان الاخبار
قبل الاختبار جهل والخشية قبل الابتلاء عجز وقد
قال الشاعر ه لا تكونن للامور هيوبا فالى خيبة يصير الهيوب
وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف
ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة وليس
وان تفاضلت الاذهان وتفاوتت الفطن ينبغي لمن
قل منها حظه ان ياس من نيل القليل وادراك اليسير
الذي يخرج به من حد الجهالة الى ادنى مراتب التخصيص
فان الماء مع لينه يوثر في صم الصخور فكيف لا يوثر
العلم الزكي في نفس راغب شهي وطالب خلي لاسيما
وطالب العلم معان قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى
بما تطلب وربما منع ذا السفاهة من طلب

العلم ان تصور في نفسه حرفة اهله وتضايق الامور
مع الاشتغال به حتى انه يسمهم بالادبار
ويسمهم بالحرمان فان راى محبرة تطير بها وان وجد
كتابا اعرض عنه وان راى متحليا بالعلم هرب منه
كانه لم ير عالما مقبلا ولو جاهلا مدبرا ولقد
رايت من هذه الطبقة جماعة ذوي منازل
واحوال كنت اخفي عنهم ما يصحبني من محبرة او كتاب
ليلا اكون عندهم مستثقلا وان كان البعد منهم موانسا
ومصلحا والقرب منهم موحشا ومفسدا وقد قال
بزرجمهر الجهل في القلب كالنز في الارض يفسد ما حوله
لكن انبعث فيهم الحديث المروي عن ابي الاشعث
عن ابي عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه انه قال
خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم في اعمالهم ولذلك

قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علما وسفه حميت
به حلما وهذه الطبقة ممن لا يرجى لها صلاح ولا
يؤمل لها فلاح لان من اعتقد ان العلم شين وان
تركه زين وان للجهل اقبالا مجديا وللعلم ادبارا
مكديا كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا
وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه علي بن ابي
طالب عليه السلم اغد عالما او متعلما او مستمعا
او محبا ولا تكن الخامس فتهلك وقد رواه خالد
الحذا عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه
مسندا وليس لمن هذه حاله في العذل نفع ولا
في الاصلاح مطمع وقد قيل لبزرجمهر ما لكم لا تعاتبون
الجهال فقال انا لا نكلف العمي ان يبصروا ولا الصم
ان يسمعوا وهذه الطايفة التي تنفر من العلم هذا النفور

وتعاند اهله هذا العناد ترى العقل هذه المثابة
وتنفر من العقل هذا النفور وتعتقد ان العاقل
محارف وان الاحمق محظوظ وناهيك بضلال
من هذا اعتقاده في العقل والعلم هل يكون الخير
اهلا او لفضيلة موضعا وقد قال بعض البلغا
اخبث الناس المساوي بين المحاسن والمساوي وعلة
هولا انهم ربما راوا عاقلا غير محظوظ وعالما
غير مرزوق فظنوا ان العلم والعقل هما السبب
في قلة حظه ورزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان
اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان في العقلا
والعلما قلة وعليهم من فضلهم سمة ولذلك قيل العلما
غربا لكثرة الجهال فاذا ظهرت سمة فضلهم وصادف
ذلك قلة حظ بعضهم تنوهوا بالتمييز واشتهروا

بالنفيين فصاروا مقصودين باشارة المتعنتين
ملحوظين باعيا الشامتين والجهال والحمقى
لما كثروا ولم يخصصوا الرفث عنهم النفوس
فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصد
المجدود منهم باشارة عايب فلذلك ظن الجاهل
المرزوق بان الفقر والضيق مختصان بالعلم والعقل
دون الجهل والحمق ولو تصفحت احوال العلما والعقلا
مع قلتهم لوجدت الاقبال في اكثرهم وانما يصير ذو
الحال الواسعة منهم ملحوظا مشتهرا لان حظه
عجيب واقباله مستغرب كما ان حرمان العاقل غريب
وادباره عجيب ولم يزل الناس في سالف الدهور
من مثل ذلك متعجبين وفيه معتبرين حتى قيل
لبزرجمهر ما اعجب الاشيا قال نجح الجاهل واكدا

[illegible]

العاقل لكن الرزق بالجد والحظ لا بالعلم والعقل
حكمة منه تعالى يدل بها على قدرته واجرا
الامور على مشيته وقد قالت الحكما لو جرت الاقسام
على قدر العقول لم تعش البهايم فنظمه ابو تمام الطاي
فقال

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تجري على الحجى هلكن اذا من جهلهن البهايم

وقال كعب بن زهير بن ابي سلمى

لو كنت اعجب من شي لاعجبني سعي الفتى وهو مخبو له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر

على ان العلم والعقل سعادة واقبال وان قل معهما
المال واتسعت فيهما الحال لان السعادة ليست
بكثرة المال فكم من مكثر شقي ومقل سعيد وكيف

[illegible]

يكون الجاهل الغني سعيدا والجهل يضعه وكيف
يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه وقد قيل
في منثور الحكم كم ذليل اعزه علمه ومن عزيز
اذله جهله وقال عبد الله بن المعتز نعمة
الجاهل روضة على مزبلة وقال بعض الحكما
كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا وقال
بعض العلماء لبنيه يا بني تعلموا العلم وان لم تنالوا
به من الدنيا حظا فلان يذم الزمان لكم احب
الي من ان يذم الزمان بكم وقال بعض الادبا
من لم يفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا وانشد
بعض اهل الادب لابن طباطبا

حسود مريض القلب يخفي انينه ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم علي ان رحت للعلم راغبا اجمع من عند الرواة فنونه
واعرف ابكار الكلام وعونه واحفظ مما استفيد عيونه
ويزعم ان العلم لا يجلب الغنى ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وانا استعيذ الله من خدع الجهل المذلة وبوادر
الحمق المضلة واساله السعادة بعقل رادع يستقيم
به من زل وعلم نافع يستهدي به من ضل وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذل
الله عبدا حظر عليه العلم فينبغي لمن زهد في العلم
ان يكون فيه راغبا ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا
ولمن طلبه ان يكون فيه ومنه مستكثرا ولمن
استكثر منه ان يكون به عاملا ولا يطلب لتركه
احتجاجا ولا لتقصيره فيه عذرا وقد قال الشاعر
فلا تعتذر الى الاباة انه شرار الرجال من يسي ويعتذر

ولا يسوّف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال
المتصلة فان لكل وقت شغلا وفي كل زمان عذرا
وقال الشاعر

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

ويقصد لطلب العلم وانما بتيسير الله قاصدا وجه
الله بنية خالصة وعزيمة صادقة فقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما
لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه قال
تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اهله فان
احدكم لا يدرى متى يحتاج اليه او متى يحتاج الى
ما عنده وليحذر ان يطلبه لمراء او رياء فان
المماري مهجور لا ينتفع والمرائي محقور لا ينفعه

وروى عن النبي صلى الله عليه انه قال لا تعلموا العلم
لتماروا به السفهاء ولا تعلموا العلم لتجادلوا به العلماء
فمن فعل ذلك منكم فالنار النار وليس المماري به
هو المناظر فيه طلبا للصواب منه ولكنه القاصد
لدفع ما يرد عليه من فاسد او صحيح وفيهم جاءت السنة
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لا تجادل الا منافق
او مرتاب وقال الاوزاعي اذا اراد الله بقوم شرا
اعطاهم الجدل ومنعهم العمل وانشد الناشي لمصعب عبد الله

اجادل كل معترض خصيم واجعل دينه غرضا لديني
فاترك ما علمت لراي غيري وليس الراي كالعلم اليقين
وما انا والخصومة وهي شيء يصرف في الشمال وفي اليمين
فاما ما علمت فقد كفاني واما ما جهلت فجنبوني

ومثل ذلك بعض العلماء فقال لصاحبه لا يشغلك

حذر المراء من حسن المناظرة فان المماري هو الذي
لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجوا ان يتعلم من
احد واعلم ان لكل مطلوب باعثا والباعث على
المطالب شيان رغبة او رهبة فليكن طالب
العلم راغبا راهبا اما الرغبة ففي ثواب الله تعالى
لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته واما الرهبة
فمن عقاب الله لتاركي اوامره ومهملي زواجره
فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة اديا الى كنه العلم
وحقيقة الزهد لان الرغبة اقوى الباعثين
على العلم والرهبة اقوى السببين في الزهد وقد
قالت الحكما اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة
واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فاذا اقترن
الزهد والعلم [فقد] تمت السعادة وعمت الفضيلة

فان افترقا فيا ويح مفترق فما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما
وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه قال من ازداد
في العلم رشدا فلم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد
من الله الا بعدا وقال مالك بن دينار من لم يوت
من العلم ما يقمعه فما اوتي من العلم ما ينفعه
وقد قال بعض الحكما الفقيه بغير ورع كالسراج
يضي البيت ويحرق نفسه ۞ واعلم ان للعلوم
اوايل تودي الى اواخرها ومداخل تفضي الى حقايقها
فليبتدي طالب العلم باوايلها لينتهي الى اواخرها
وبمداخلها ليفضي الى حقايقها ولا يطلب الاخر
قبل الاول ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك
الاخر ولا يعرف الحقيقة لان البنا على غير اس
لا يبنى والثمر من غير غرس لا يجنى ولذلك اسباب

فاسدة ودواع واهية فمنها ان يكون في النفس اغراض
تختص بنوع من العلم فيبعثوا الغرض الى قصد
ذلك النوع ويعدل عن مقدمه فانه كرجل
يوثر القضا ويتصدى للحكم فيقصد من علم الفقه
ادب القاضي وما يتعلق به من الدعوى والبينات
او يحب الارتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات
ليلا يصير موسوما بجهل ما يعاني فاذا ادرك ذلك
ظن انه قد حاز من العلم جمهوره وادرك منه
مشهوره ولم ير ما بقي منه الا غامضا طلبه عنا
وعويصا استخراجه فنا لقصور همته على ما ادرك
وانصرافها عما ترك ولو نصح نفسه لعلم ان ما ترك
اهم مما ادرك لان بعض العلوم مرتبط ببعض ولكل
باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الاواخر الا بالاوائل

ولا يصح قيام الاوائل بانفسها فيصير طلب الاواخر وترك
الاوائل تركا للاواخر والاوائل فاذا ليس يعرى من
لوم وان كان تارك الكل الوم ه ومنها ان يحب الاشتهار
بالعلم اما للتكسب او للتجمل فيقصد من العلوم ما
يشتهر به من مسايل الجدل وطرق النظر ويتعلم
علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه ليناظر
على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ومن يجادل الخصوم
وهو لا يعرف مذهبه مخصوم ه وقد رايت من
هذه الطبقة عددا قد تحققوا بالعلم تحقق
المتكلمين واشتهروا به اشتهار المتبحرين اذا
اخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم واذا سيلوا عن
واضح مذهبهم ضلت افهامهم حتى انهم ليخبطون
في الجواب خبط عشوا فلا يظهر لهم صواب

ولا يتقرر لهم جواب ثم لا يرون ذلك نقصا اذا اعفوا
في المجالس كالعام صوما ولفقوا على المخالف حججا
مالوفا وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدئ
ويتداوله الناشئ فهم دائما في لفظ مضل او غلط
مزل ورايت قوما منهم يرون الاستقلال بالمذهب
تكلفا والاستكثار منه تخلفا وحاججني بعضهم
عليه فقال لان علم حافظ المذهب مستور
وعلم المناظر عليه مشهور فقلت كيف يكون علم الحافظ
للمذهب مستورا وهو سريع الجواب كثير الصواب
فقال لانه ان لم يسال سكت فلم يعرف والمناظر
ان لم يسال سال فعرف فقلت اليس اذا سيل الحافظ
فاصاب بان فضله قال نعم قلت افليس اذا سيل
المناظر فاخطا بان نقصه وقد قيل عند الامتحان

يكرم الرجل او يهان فامسك عن جوابي لانه ان
انكر كابر المعقول ولو اعترف لزمته الحجة والامساك
اذعان والسكوت رضى ولان ينقاد الى الحق اولى
من ان يستفزه الباطل وهو طريقة من يقول اعرفوني
وهو غير عروف ولا معروف ويعنك ممن لا يعرف
العلم ان يعرف فيه وقد قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعلم
في الصغر ثم يشتغل به في الكبر فيستحيي ان يبتدئ بما
يبتدئ به الصغير ويستنكف ان يساويه الحدث
الغرير فيبدا باواخر العلوم واطرافها ويهتم بحواشيها
واكنافها ليتقدم على الصغير المبتدي ويساوي
الكبير المنتهي وهذا ممن قد رضي بخداع نفسه وقنع بمداهنة

حسه لان معقوله الحس ومعقول كل ذى
حس يشهد بفساد هذه الصور ونطق باختلال
هذا التخيل لانه شى لا يقوم فى وهم وجهل ما يبتدى
به المتعلم اقبح من جهل ما ينتهى اليه العالم وقد
قال الشاعر

ترق الى صغير الامر حتى ترقيك الصغير الى الكبير
فتعرف بالتفكر فى صغير كبيرا بعد معرفة الصغير

ولهذا او اشباهه كان التعلم فى الصغر احمد روى
مروان بن سالم عن اسمعيل بن ابى الدردا قال قال
رسول الله صلى الله عليه مثل الذى يتعلم فى صغره
كالنقش على الحجر والذى يتعلم فى كبره كالذى
يكتب على الما وقال على ابن ابى طالب عليه
السلم قلب الحدث كالاراضى الخالية مهما القى فيها من

شى قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا واقل
شغلا وايسر تبذلا واكثر تواضعا وقد قيل فى منثور
الحكم المتواضع من طلاب العلم اكثرهم علما كما ان
المكان المنخفض اكثر البقاع ما فاما ان يكون الصغير
اضبط من الكبير اذا عرى من هذه الموانع واوعى منه
اذا خلا من هذه القواطع فلا وحكى ان الاحنف
ابن قيس سمع رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش
فى الحجر فقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل
قلبا ولعمرى لقد فحص الاحنف عن المعنى ونبه على
العلة لان قواطع الكبير كثيرة فمنها ما ذكرنا من
الاستحيا وقد قيل فى منثور الحكم من رق وجهه
رق علمه وقال الخليل بن احمد تبع الجهل بين الحيا
والكبر فى العلم ومنها وفور شهواته وتقسيم افكاره

وقد قال الشاعر

صرف الهوى عن ذي الهوى عزيز ان الهوى ليس له تمييز

وقد قال بعض البلغاء القلب اذا علق كالرهن
اذا غلق ومنه الطوارق المزعجة والهموم المذهلة
وقد قيل في منثور الحكم الهم قيد الحواس وقال
بعض البلغا من بلغ اشده لاقى من العيش اشده
ومنها تشوق اشغاله وترادف خلاله حتى انما
لتستوعب زمانه وتستنفد ايامه ولذلك قيل
تفقهوا قبل ان تسودوا وقد قال بزرجمهر الشغل
مجهدة والفراغ مفسدة فينبغي لطالب العلم ان
لا يني في طلبه وينتهز الفرصة به فربما شح الزمان
بما سمح وضن بما منح ويبتدي من العلم باوله و
ياتيه من مدخله ولا يتشاغل بما لا يضر جهله فيمنعه

عن طلب

كان

ذلك من ادراك ما لا يسع جهله فان لكل علم فضولا
مذهلة وشذورا مشغلة ان صرف اليها نفسه
قطعته عما هو اهم منها وقد قال ابن عباس العلم
اكثر من ان يحصى فخذوا من كل شي احسنه وقال
المامون ما لم يكن من العلم بارعا فبطون الصحف اولى
به من قلوب الرجال ۝ وقال بعض الحكما ابتدر كل ما لا يعنيك
تدرك ما يعنيك ۝ ولا ينبغي ان يدعوه ذلك الى ترك
ما استصعب عليه اشعارا لنفسه ان ذلك من فضول
علمه واعتذارا لها في ترك الاشتغال به فان ذلك مطية
النوكى وعذر المقصرين ومن اخذ من العلم ما تسهل
وترك منه ما تعذر كان كالقناص اذا امتنع عليه
الصيد تركه فلا يرجع الا خائبا اذ ليس يرى الا ممتنعا
كذلك العلم طلبه صعب على من جهله سهل على من

علمه لان معانيه التي يتوصل اليها مستودعة
في كلام مترجم عنها وكل كلام مستعمل يجمع
لفظاً مسموعاً ومعنى مفهوماً فاللفظ كلام يعقل
بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب وقد قال
بعض الحكماء العلوم مطالعها من ثلثة اوجه
قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل
الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه واذا فهم المعاني
سقطت عنه كلفة استخراجها وبقي عليه معاناة
حفظها واستقرارها لان المعاني شوارد تضل
بالاغفال والعلوم وحشية تنفر بالارسال
فاذا حفظها بعد الفهم انست واذا ذكرها بعد
الانس رست ○ وقد قال بعض الحكماء من اكثر المذاكرة
بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم وقال الشاعر

اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علماً نسي ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الايام في جمعه عمى
وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها
ليعلم العلة في تعذر فهمها فان بمعرفة اسباب
الاشياء وعللها يصل الى تلافي ما شذ وصلاح ما فسد
وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلثة اقسام
اما ان يكون لعلة في الكلام المترجم واما ان يكون
لعلة في السامع المستخرج فان كان السبب المانع
من فهمها لعلة في الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك
من ثلثة احوال احدها ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنى
فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سبباً
مانعاً من فهم ذلك المعنى وهذا قد يكون من احد
وجهين اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقلة

واما ان يكون لعلة في المعنى المستودع

فهمه والحال الثانية ان يكون الزيادة اللفظ على
المعنى فيصير الزيادة علة مانعة من فهم المقصود
منه وهذا انما يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم
واكثاره واما لسوء ظنه بفهم سامعه والحال الثالث
ان يكون لمواضعة يقصدها المتكلم بكلامه فاذا
لم يعرفهما السامع لم يعرف معانيها فاما تقصير
اللفظ وزيادته فمن الاسباب الخاصة دون
العامة لانك لست تجد ذلك عاما في كل كلام
وانما تجده في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر
الى المستوفى وعن الزايد الى الكافي ارحت نفسك
من تكلف ما يكد خاطرك وان اقمت على استخراجه
اما لضرورة دعتك اليه عند اعواز غيره او لمحبة
داخلتك عند تعذر فهمه فانظر في سبب

الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر والزيادة
لهذر يسهل عليك استخراج المعنى منه لان الاكثر من
الكلام محصول لا يجوز ان يكون المحتمل منه الاكثر من
الصحيح وفي الاكثر على الاقل دليل وان كانت زيادة
اللفظ على المعنى لسوء ظن المتكلم بفهم السامع دال
استخراجه اسهل وان كان تقصير اللفظ عن المعنى
لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور حالا
وابعدها استخراجا لانه اذا لم تفهمه متكلمه فانت
من فهمه ابعد الا ان يكون بفرط ذكائك وجودة
خاطرك تنتبه ما شاء به على استنباط ما عجز
عنه واستخراج ما قصر فيه فيكون فضيلة الاستيفاء
لك وخوف التقصير له واما المواضعة فضربان
عامة وخاصة فاما العامة فهو مواضعة العلما

فيما جعلوه ألقابا تواضعوها للمعاني لا يستغني
المتعلم عنها ولا يقف على معنى كلامهم إلا بها كما
جعل المتكلمون الجواهر والأعراض والأجسام ألقابا
تواضعوها للمعاني اتفقوا عليها وليست تجد
من العلوم علما تخلو من هذه المواضعة وهذه
المواضعة العامة تسمى عرفا فأما الخاصة فمواضعة
الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره فإن كانت
في الكلام كانت رمزا وإن كانت في الشعر كانت لغزا
فأما الرمز فليست تجده في معنى معنوي ولا
في كلام لغوي وإنما يختص غالبا بأحد شيئين [?]
إما بمذهب شنيع يخفيه معتقده ويجعل
الرمز به سببا لتطلع النفس إليه واحتمال
التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه وإما لما يدعي

أربابه أنه علم معوز وأن إدراكه بديع معجز كالصنعة
التي وضعها أربابها اسما لعلم الكيمياء فرمزوا أوصافه
وأخفوا معانيه ليوهموا الشح به والأسف عليه
خديعة للعقول الواهية والآراء الفاسدة وقد
قال الشاعر

منعت شيئا فأكثرت الولوع به وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

ثم ليكونوا برآء من عهدة ما قالوه إذا أعرب ولو كان ما
تضمن هذين النوعين وأشباههما من الرموز معنى
صحيحا وعلما مستفادا لخرج من الرمز الخفي
إلى العلم الجلي فإن أغراض الناس مع اختلاف أهوائهم
لا تتفق على ستر سليم وإخفاء مفيد وقد مال بهم
الستر دون الانكشاف والإغفال دون التبيين
وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تخفيته من

المعاني وتعظيمه من الألفاظ ليكون أحلى في القلوب
موقعاً وأجلّ في النفوس موضعاً فيصير بالألسن سائراً
وفي الصحف مخلّداً كالذي حُكي عن فيثاغورس في
وصاياه المرموزة أنه قال احفظ ميزانك من الندى
وأوزانك من الصدأ يريد بحفظ الميزان من الندى
حفظ اللسان من الخنا وبحفظ الأوزان من الصدأ
حفظ العقل من الهوى فصار بهذا الرمز مستحسناً
ومقبولاً ولو قاله باللفظ الصريح والمعنى الفصيح
لما سار عنه ولا استُحسن منه وعلة ذلك
أنّ المحجوب عن الأفهام كالمحجوب عن الأبصار فيما يحصل
له في النفوس من التعظيم وفي القلوب من التفخيم وما
ظهر منها ولم يحتجب هان واسترذل وهذا إنما
يصح استعماله فيما قلّ وهو باللفظ الصريح مستثقل

وأمّا العلوم المنتشرة التي تطلّع النفوس إليها
فقد استغنت بقوة الباعث عليها وشدة الداعي
إليها عن الاستدعاء إليها برمز مستحلى ولفظ مستعذب
بل ذلك منفّر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها
من الإبطاء عن دركها والتقصير عن نفعها فهذا حال
الرمز وأمّا اللغز فهو تجدّي أهل الفراغ وشغل
ذوي البطالة ليتنافسوا في تباين قرائحهم ويتفاخروا
في سرعة خواطرهم فاستكدّوا خواطر قد منحوا
صحتها فيما لا يجدي نفعاً ولا يفيد علماً فهم كأهل
الصراع الذين قد صرفوا ما منحوه من صحة أجسامهم
إلى صراع كدود يصرع عقولهم ويكدّ أجسامهم
لا يكسبهم حمداً ولا يجدي عليهم نفعاً انظر إلى قول
الشاعر حيث يقول

رجل مات وخلف رجلا ابن امرأة ابن اخي اخت ابيه
معه امرأة بني اولاده وابا اخت بني عم اخيه
اخبرني عن هذين الشخصين وقد روي على صعوبة
ما تضمنهما من السؤال اذا استكد الفكر في استخراجه
فعلمت انه اراد ميتا خلف ابا وزوجة وعما
ما الذي افادك من العلم ونفى عنك من الجهل الست
بعد علمه تجهل ما كنت جاهلا من قبله ولو ان السائل
قلب لك السؤال فاخر ما قدم وقدم ما اخر لكنت
في الجهل به قبل استخراجه كما كنت في الجهل الاول
فقد تردد فكرك وانبعث خاطرك ثم لا تعدم
ان يرد عليك مثل هذا مما تجهله فتكون فيه كما
كنت فيما قبله فاصرف نفسك تولى الله رشدك
عن علوم النوكى وتكلف البطالين فقد روي عن

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه ثم اجعل ما من الله به عليك
من صحة القريحة وسرعة الخاطر مصروفا الى
علم ما تكون انفاق خاطرك فيه مذخورا وكد فكرك
فيه مشكورا فقد روى سعد بن ابي هند عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
ونحن نستعيذ بالله من ان نغبن فضل نعمته علينا
ونحمل نفع احسانه الينا وقيل في منثور الحكم من
الفراغ تكون الصبوة وقال بعض البلغاء من امضى
يومه في غير حق قضاه او فرض اداه او مجد اثله
او حمد حصله او خير اسسه او علم اقتبسه
فقد عق يومه وظلم نفسه وقال بعض الشعراء

لقد هاج الفراغ عليك شغلا واسباب البلاء من الفراغ
فهذا تعليل ما في الكلام من الاسباب المانعة من
فهم معانيه حتى خرج بنا الاستيفاء الى الاطالة
والكشف الى الاغماض واما القسم الثاني وهو ان
يكون السبب المانع من فهم السامع لعلة في المعنى
المستودع فلا يخلو حال المعنى من ثلثة اقسام
اما ان يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمة لغيره
او يكون نتيجة من غيره فاما ما يكون مستقلا بنفسه
فضربان جلي وخفي فاما الجلي فهو يسبق الى فهم متصوره
من اول وهلة وليس هو من اقسام ما يشكل على
نبي تصوره واما الخفي فمحتاج في ادراكه الى زيادة تامل
وفضل معاناة ليتجلى عما اخفي وينكشف عما
اغمض وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به وبالارتياض

به يسهل منه ما استصعب ويقرب منه ما بعد
فان المرتاض به جراة وللدربة تاثيرا واما ما كان مقدمة
لغيره فضربان احدهما ان تقوم المقدمة بنفسها
وان تعدت الى غيرها فيكون ذا المستقل بنفسه في
تصوره وفهمه وان كان مستدعيا لنتيجته والثاني
ان يكون مفتقرا الى نتيجته فيتعذر فهم المقدمة
الا بما يتعقبها من النتيجة لانها تكون بعضا منه
وتبعيض المعنى اشكل له وبعضه لا يغني عن كله
واما ما كان نتيجة لغيره فهو لا يدرك الا باوله
ولا يتصور على حقيقته الا بمقدمته والاشتغال
به قبل المقدمة عنا واتعاب الفكر في استنباطه
قبل قاعدته اذى فهذا يوضح تعليل ما في
المعاني من الاسباب المانعة من فهمها واما

القسم الثالث وهو ان يكون السبب المانع لعلة في المستمع
فذا الضربان احدهما من ذاته والثاني من طارئ طرأ
عليه فاما ما كان من ذاته فيتنوع نوعين احدهما
ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه والثاني ما كان
مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه فاما المانع من
تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة
وهو الداء العياء وقد قال بعض الحكماء اذا اهدى
العالم الرمز دل على الاصل اذا احتاج حاجته وكثر الى
الكتب احتياجه وليس لمن بلي به الا الصبر والاقلال
لانه على القليل اقدر وبالصبر اجدر ان ينال ويظفر
وقال بعض الحكماء قدم لحاجتك بعض لجاجتك
وليس يقدر على الصبر من جهل حاله الا ان يكون
غالب الشهوة بعيد الهمة فيستعر قلبه الصبر

لقوة شهوته ويكلف جسده احتمال التعب لبعد
همته فاذا تلوح له المعنى بمساعدة الشهوة
اعقبه ذلك الحاح الاملين ونشاط المدركين
فقل عنده كل كثير وسهل عليه كل عسير وقد
روي عن النبي صلى الله عليه انه قال انكم لا تنالون
ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون
ما تشتهون الا بترك ما تشتهون وقيل في منثور
الحكم اتعب قدمك فكم تعب قدمك وقال
بعض البلغاء اذا اشتد الكلف هانت الكلف
وانشد بعض اهل الادب ما ذكر انه لعلي بن ابي
طالب عليه السلم

لا تحزنن ولا تدخلك مضجرة فالنجح يهلك بين العجز والضجر

واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو

النسيان الحادث عن غفلة التقصير واهمال التواني
فينبغي لمن بلي به ان يستدرك تقصيره بكثرة الدرس
ويوقظ غفلته بادامة النظر فقد قيل لن يدرك
العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه ولكن الدرس
كدود لا يصبر عليه الا من يرى العلم مغنما
والجهالة مغرما فيحتمل تعب الدرس ليدرك
راحة العلم وينفي عنه معرة الجهل فان نيل
العظيم بامر العظيم وعلى قدر الرغبة يكون
الطلب وبحسب الراحة يكون التعب وقد
قيل طلب الراحة قلة الاستراحة وقال بعض
الحكماء اكمل الراحة ما كانت عن كد التعب
واعز العلم ما كان عن ذل الطلب وربما استثقل
المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني

على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة
اليها فلا يكون الا من اطلق ما اضاعه ثقة بالقدرة
عليه فيعدل الامتناع منه فلا يعقبه الثقة
الا خجلا او التفريط الا ندما وهذه حال قد
يدعو اليها احد ثلاثة اشياء اما الضجر من معاناة
الحفظ ومراعاته او طول الامل في التوفر عليه عند
نشاطه او فساد الراي في عزيمته وليس يعلم
ان الضجور خائب وان الطويل الامل مغرور وان
الفاسد الراي مصاب والعرب تقول في امثالها
حرف في قلبك خير من الف في كتبك وقالوا
لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك
النادي ٥ وانشدت عن الربيع للشافعي رحمه الله عليه
علمي معي حيثما يممت يتبعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق

العلم في السوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان
وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى
يصير حافظا لالفاظ المعاني قيما بتلاوتها وهو
لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنها يروي بغير روية
ويخبر عن غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع
شبهة ولا يؤيد حجة وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال همة السفهاء الرواية وهمة
العلماء الرعاية وقال ابن مسعود كونوا للعلم
وعاة ولا تكونوا له رواة فقد يرعوي من لا
يروي ويروي من لا يرعوي وحكي ان الحسن البصري
تحدث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما تصنع
بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك
حجته وربما اعتمد على حفظه وتصوره

واغفل تقييد العلم في كتبه ثقة بما استقر في نفسه
وهذا خطأ منه لان الشك معترض
والنسيان طارئ وقد روى انس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه انه قال قيدوا العلم بالكتاب وروى
ان رجلا شكا الى النبي صلى الله عليه النسيان
فقال له استعن بيدك اي اكتب حتى ترجع اذا
نسيت الى ما كتبت وقد قال الخليل بن احمد اجعل
ما في الكتب راس المال وما في القلب النفقة وقال
مهبود لولا ما عقدته الكتب من تجارب الاولين
لانحل مع النسيان عقود الآخرين وقال بعض البلغاء
ان هذه الآداب نوافر تند عن عقل الاذهان فاجعلوا
الكتب عليها حماة والاقلام لها رعاة واما الطارئ
فنوعان احدهما شبهة تعترض المعنى فتمنع تصوره

وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل تلك الشبهة
عن نفسه بالسوال والنظر ليصل الى تصور المعنى
وادراك حقيقته ولذلك قال بعض العلما لا تخل
قلبك من المذاكرة فيعود عقيما ولا تعف طبعك
من المناظرة فيصير سقيما وقال بشار بن برد
شفا العمى طول السوال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل
والثاني افكار تعارض الخاطر فيه فيذهل عن تصور
المعنى وهذا اسباب قلما يعرى منه احد لا سيما
فيمن انبسطت اماله واتسعت امانيه وقد يقل فيمن
لم يكن له في غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان
طرا على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه
على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع
الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وقد جا الاثر

بان القلب اذا اكره عمي ولكن يعمل في دفع ما طرى عليه
من هم من ذهل او فكر قاطع ليستجيب له القلب
مطيعا وقد قال الشاعر

وليس بمغن في المودة شافع ... اذا لم يكن بين الضلوع شفيع

وقال بعض الحكما ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر
الوحش فتالفوها بالاقتصاد في التعليم والتوسط
في التقويم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها فهذا تعليل
ما في المستمع من الاسباب المانعة من فهم المعاني
وها هنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم
معانيه ولكنه قد يعرى من بعض الكلام فلذلك
لم ندخله في جملة اقسامه ولم نستجز الاخلال بذكره
وهو الخط لان في الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج
في فهمه الى تامل الخط به والمانع من فهمه هو ما كان ه

من اقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط محفوظا
بالكتابة ماخوذا اما لاستخراج وكان الخط حافظا
له ومعبرا عنه وقد روي عن ابن عباس في قوله
تعالى او اثارة من العلم يعني الخط وروي عن
مجاهد في قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا يعني الخط
ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الخط
والعرب تقول الخط احد اللسانين وحسنه احدى
الفصاحتين وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة
به تفصل شذورها وينظم منثورها وقال
ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم
على الشاهد والغايب وهو للغابر الكاين مثله للقايم
الراهن وقال حكيم الروم الخط هندسة
روحانية وان ظهرت بالة جسدانية وقال حكيم العرب

الخط اصل في الروح وان ظهر بحواس الجسد
واختلف في اول من كتب الخط فذكر كعب الاحبار
ان اول من كتب ادم عليه السلام سائر الكتب قبل
موته بثلثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت
الارض في زمن نوح بقيت الكتابة فاصاب
كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي الى ان خص
الله تعالى به اسمعيل فاصابه وتعلمه وحكى
ابن قتيبة ان اول من كتب ادريس وكانت العرب
تعظم قدر الخط وتعده من اجل نافع حتى قال
عكرمة بلغ فدا اهل بدر اربعة الاف حتى ان
الرجل ليفادي به على ان يعلم الخط لما هو مستقر
في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور
نفعه واثره وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله

عليه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف نفسه
بانه علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد
بذلك من نعمه الكرام واياديه الجسام حتى اقسم
به في كتابه فقال ن والقلم وما يسطرون
فاقسم بالقلم كما اقسم بما يخط بالقلم ه واختلف
في اول من كتب بالعربية فذكر كعب الاحبار
ان اول من كتب بها آدم عليه السلم ثم وجدها بعد
الطوفان اسمعيل عليه السلم وحكى ابن عباس ان اول
من كتبها ووضعها اسمعيل على لفظه ومنطقه
وحكى عروة بن الزبير ان اول من كتبها قوم
من الاوائل اسماؤهم ابجد وهوز وحطي وكلمن
وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين وحكى
ابن قتيبة في كتاب المعارف ان اول من كتب

بالعربية مرامر بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار
انتشرت ه وحكى المدايني ان اول من كتب بها
مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فمرامر
وضع الصور واسلم فصل ووصل وعامر وضع الاعجام
ولما كان الخط بهذه الحال وجب على من اراد
حفظ العلم ان يعنى بامرين احدهما تقويم الحروف
على اشكالها الموضوعة لها والثاني ضبط ما اشتبه
منها بالنقط والاشكال المميزة لها ثم ما زاد على
هذين من تحسين الخط وملاحة نظمه فانما هو زيادة
حذق بصنعته وليس بشرط في صحته وقال
علي بن عبيدة حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير
وقال ابو العباس المبرد رداءة الخط زمانة الادب
وقال عبد الحميد البيان في اللسان والبنان ه

أنشد في بعض أهل الأدب لأحد شعراء البصرة

اعذر أخاك على نذالة خطه واغفر نذالته لجودة ضبطه

واعلم بأن الخط ليس يراد من تركيبه إلا تبين سمطه

فإذا أبان عن المعاني لم يكن تحسينه إلا زيادة شرطه

ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على الكلام المفهوم من فصاحة الألفاظ وصحة الإعراب ولذلك قالت العرب حسن الخط إحدى الفصاحتين وكما أنه لا يعذر من أراد التقدم في الكلام أن يطرح الفصاحة والإعراب وإن فهم وأفهم كذلك لا يعذر من أراد التقدم في الخط أن يطرح تصحيح الحروف وتحسين الصور وإن فهم وأفهم وربما تقدم بالخط من كان الخط جل فضائله وأشرف خصائله حتى صار علما مشهورا وسيدا مذكورا غير أن العلماء اطرحوا صرف الهمة إلى تحسين الخط لأنه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجد خطوط العلماء في الأغلب رديئة لا يلحظ إلا من أسعده القضاء وقد قال الفضل بن سهل من سعادة المرء أن يكون ردي الخط لأن الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هي السعادة وإنما السعادة أن لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذي الخط الحسن أن يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار رداءة خطه سعيدا وإن لم تكن رداءة الخط سعادة وإذا كان كذلك فقد يعرض للخط أسباب يمنع من قراءته ومعرفته كما يعرض للكلام أسباب يمنع من فهمه

وصحته فالاسباب التي تمنع من قراءة الخط وفهم
ما تضمنه قد يكون من تسعة اوجه احدها اسقاط
الفاظ من اثنا الكلام يصير الباقي بها مبتورا لا يعرف
استخراجه ولا يفهم معناه وهذا النوع اما من سهو الكاتب
واما من فساد نقله وهذا يسهل استنباطه على من كان
مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشي الكلام
وما سلم منه على ما سقط او فسد لا سيما اذا قل
لان الكلمة تستدعي ما يليها ومعرفة المعنى
توضح عن الكلام المترجم عنه فاما من كان قليل الارتياض
بذلك النوع فانه يصعب عليه استنباط المعنى
منه لا سيما اذا كان كثيرا لانه يحتاج في فهم المعاني
الى الفكر والروية فيما قد استخرجه بالجملة واذا لم
يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه

عن ادراكه وضل فكره عن استنباطه والوجه
الثاني زيادة الفاظ في اثناء الكلام يشكل بها معرفة
الصحيح غير الزايد من معرفة السقيم الزايد فيه فيصير
الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا الا ان يقصد
الكاتب تعمية كلامه فيدخل في اثنائه ما يمنع من فهمه
فيصير ذلك رمزا يعرف بالمواضعة فاما ما وقوعه
سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من
فهمه على المرتاض وغيره والوجه الثالث اسقاط حروف
من اثنا الكلمة يمنع من استخراجها على الصحة وقد يكون
هذا تارة من السهو والغفلة وتارة من ضعف الهجاء
فيكثر والقول فيه كالقول في الوجه الاول والوجه
الرابع زيادة حروف في اثنا الكلمة يشكل بها معرفة
الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب

فيقل ولا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة
للتعمية ومواضعة يفصل بها الكاتب اخفاء غرضه
بكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول في الوجه
الثاني والوجه الخامس وصل الحروف المفصولة
وفصل الحروف الموصولة فدعوا ذلك الى الاشكال
لان الكلمة تبنيه عليها وصل حروفها ويمنع فصلها
من مشاركة غيرها فان كان ذلك من سهو قل
وسهل استخراجه وان كان ذلك من قلة معرفة
بالخط او مشقا تسنو به اليد كثيرا فصعب استخراجه
الا على المرتاض به ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه شر الكتابة المشق كما شر الكلام الهذرمة
وان كان للتعمية والترجمة لم يعرف الا بالمواضعة والوجه
السادس تغيير الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها

حتى تكتب الحا على شكل الباء والصاد على شكل الراء
وهذا يكون في رموز التراجم لا يوقف عليه الا بالمواضعة
الا من زاد فيه الذكا فقدر على استخراج المعمى
والوجه السابع ضعف الخط عن تقويم الحروف
على الاشكال الصحيحة واثباتها على الاوصاف
الحقيقية حتى لا يكاد الحروف تمتاز عن اغيارها
حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحا
وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج
ذلك يمكن بفضل المعاناة وشدة التامل وان كان
ربما اضجر قاريه واوهى معانيه ولذلك قيل ان
الخط الحسن ليزيد الحق وضوحا والوجه الثامن
اغفال النقط والاشكال التي تتميز بها الحروف
المشتبهة وهذا ايسر امرا واخف حالا لان من

كان متميز الصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تخف
عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع اغفال النقط
والاشكال بل قد استقبح ذلك في المكاتبات وراه
من تقصير الكاتب او سوء ظنه بفهم المكاتب
وكان استقباحهم له في مكاتبة الرؤسا اكثر وقد
حكى قدامة بن جعفر ان بعض كتاب الدواوين
خاطب عاملا فاشتكا العامل منه الى عبيد الله
بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لدعواه
وصحتها ووضوح شكواه فوقع فيها سليمان هذا
هذا فاخذها العامل وقراها فظن ان عبيد
الله اراد بقوله هذا هذا اثباتا لصحة دعواه
وصدق قوله كما يقال في اثبات الشي هو هو
فحمل الرقعة الى كاتب الديوان واراه خط عبيد الله

عبيد الله بن

وقال ان عبيد الله قد صدق وقوى وصحح
ما ذكرت فخفي على الكاتب ذلك واطيف به
على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله
ورد اليه ليسال عن مراده فشدد عبيد الله
الكلمة الثانية وكنت خففتها والله المستعان
اعظم ما فيه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج
الى ابانته بالشكل فهذه حال الكتاب في استقباحهم
عجم المكاتبات بالنقط والاشكال واما غير
المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسنوه
لا سيما في كتب الادب التي يقصد بها معرفة
صيغة الالفاظ ولتنقية مخارجها مثل كتب
النحو واللغة والشعر الغريب فان الحاجة الى ضبطها
بالشكل والاعجام اكثر وهي فيما سواها من العلوم

ابيس ۞ وقد قال الثوري الخطوط المعجمة
كالبرود المعلمة ۞ وقال بعض البلغا اعجام
الخط يمنع من استعجامه وشكله يمنع من اشكاله
وقال بعض الادبا رب علم لم تعجم فصوله استعجم
محصوله وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام
في المكاتبات وان كان في كتب العلوم مستحسنا
فكذلك استحسنوا مشق الخط في المكاتبات وان
كان في كتب العلوم مستقبحا وسبب ذلك
انهم لفرط ادلالهم بالصنعة وتقدمهم في الكتابة
يكتفون بالاشارة ويقتصرون على التلويح ويرون
الحاجة الى استيفا شروط الابانة تقصيرا
او لفضل ما يعتقدونه من التقدم بمثله الحال
زادوا ما بينه على ما علق بثوبه عليه من سواد المداد

اثرا جميلا او على الفضل والتحصيل دليلا حكي ان عبد
الله بن سليمان راى على بعض ثيابه اثر صفرة فاخذ
من مداد الدواة فطلاه به ثم قال المداد بنا
احسن من الزعفران وانشد
انما الزعفران عطر العذارى ومداد الدوي عطر الرجال
فهذه جملة كافية في الابانة عن الاسباب المانعة
من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان او خطا
والله ولي التوفيق ۞ فينبغي لطالب العلم ان يكشف
عن الاسباب المانعة ان تعذر عليه فهم المعنى
ليسهل عليه الوصول اليه ثم يكون من بعد ذلك
سائسا لنفسه مدبرا لها في حال التعلم فان
للنفس نفورا يفضي الى التقصير وفتورا يؤول الى
شرف وقيادها عسر ولها احوال تتشعب فحال عدل

وانصاف وحال غلو واسراف وحال تقصير واجحاف
فاما حال العدل والانصاف فهو ان تختلف قوى
النفس من جهتين متقابلتين طاعة مستعلية وشفقة
كافة فطاعتها تمنع من التقصير وشفقتها تصد
عن السرف وهذه احمد الاحوال لان ما منع من
التقصير تام وما منع عن السرف مستديم والنمو
اذا استدام فاخلق به ان يستكمل وقال بعض
الحكماء اياك ومفارقة الاعتدال فان المسرف
مثل المقصر في الخروج عن الحد واما حال الغلو
والاسراف فهو ان تختص النفس بقوى الطاعة
وتعدم قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة
على افراغ الجهد وتقضي بها افراغ الجهد الى عجز
الكلال ويؤديها عجز الكلال الى الترك والاهمال

فتصير الزيادة نقصانا والربح خسرانا وقد قالت
الحكماء طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام
ان اخذ منه قوتا عصمه وان اسرف فيه ابشمه
وربما كان فيه منيته كآخذ الادوية التي القصد
فيها شفاء ومجاوزة الحد فيها السم المميت واما
حال التقصير والاجحاف فهو ان تختص النفس بقوى
الشفقة وتعدم قوى الطاعة فيدعوها الاشفاق
الى المعصية وتمنعها المعصية من الاجابة فلا تطلب
شاردا ولا تقبل عائدا ولا تحفظ لمستودع مستودعا
ومن لم يطلب الشارد ويقبل العائد ويحفظ
المستودع فقد الموجود ولم يجد المفقود ومن
فقد ما وجد فهو مصاب محزون ومن لم يجد ما
فقد فهو خائب مغبون وقد قال بعض الحكماء العجز

مع الونى والفوت مع التوانى وقد يكون للنفس مع الاحوال
الثلث حالتان مشتركتان يغلبه احدى القوتين
فيكون للنفس طاعة واشفاق واحدهما اغلب من الاخر
فان كانت الطاعة اغلب كانت الى الوقود
التجاوز اميل وان كان الاشفاق اغلب كانت الى التقصير
التقصير هو اقرب فاذا عرف من نفسه قدر طاقتها
وخبر منها كنه شفقتها راض نفسه ليلبث
على احمد حالاتها وقد اشار الى ما وصفناه من حال
النفس الفرزدق في قوله

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ... واخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى ... اذا قل من احرارهن شفيعها

فان اهمل سياستها واغفل رياضتها ورام ان ياخذها
بالعنف ويقهرها بالعسف اشتطت نافرة ولجت

معاندة فلم تنقد الى طاعة ولم تكف
عن معصية وقد قال سابق البربري

اذا زجرت لجوجا زدته علقا ... ولجت النفس منه في تماديها
فعد عليه اذا ما نفسه جمحت ... باللين منك فان اللين يثنيها

فان استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه
مع سياسته لها ومعاناته رياضتها تركها ترك راحة
ثم عاودها بعد الاستراحة فان اجابتها تسرع وطاعتها
ترجع وقد روى عن النبي صلى الله عليه انه قال
ان القلب يموت ويحيى ولو بعد حين وقال ابن مسعود
للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار فاتوها من
قبل شهوتها ولا تاتوها من قبل فترتها وقد قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه ... ولا القلب الا انه يتقلب

واما الشروط التي تتوفر بها على الطالب وينتهي معها

كمال الراغب مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به
من المعونة تسعة شروط احدها العقل
الذى تدرك به حقايق الامور والثانى الفطنة
التى يتصور بها غوامض العلوم والثالث الذكا
الذى يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه
والرابع الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا
يسرع اليه الملل والخامس الاكتفا بمادة
تغنيه عن كلف الطلب والسادس الفراغ الذى
يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار والسابع
عدم القواطع المذهلة من هموم واشغال وامراض
والثامن طول العمر واتساع المدة لينتهى بالاستكثار
الى مراتب الكمال والتاسع الظفر بعالم سمح بعلمه
متان فى تعليمه فاذا استكمل هذه الشروط التسعة

فهو اسعد طالب وانجح متعلم وقد قال الاسكندر
يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة وقريحة
وشهوة وتمامها فى الخامس معلم ناصح
فصل وساذكر طرفا مما يتادب به المتعلم
ويكون عليه العالم اعلم ان للمتعلم فى زمان
تعلمه ملقا وتذللا ان استعملهما غنم وان تركهما
حرم لان التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل
له سبب لادامة صبره وباظهار مكنونه تكون الفايدة
وباستدامة صبره يكون الاكثار وقد روى معاذ
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من اخلاق
المومن الملق الا فى طلب العلم وقد قال عبد الله
بن مسعود ذللت طالبا للعلم فعززت مطلوبا
وقال بعض الحكما من لم يحتمل ذل التعلم ساعة

بقي في ذل الجهل ابداه وقال بعض حكما الفرس
اذا تعلمت وانت صغير حيث تحب فعدت
وانت كبير حيث لا تحب ه ثم ليعرف له
فضل علمه وليشكر له جميل صنعه فقد روت
عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه انه قال
من وقر عالما فقد وقر ربه وقال علي بن ابي طالب
عليه السلم لا يعرف فضل اهل العلم الا اهل الفضل

وقال بعض الشعرا

ان المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدايك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ولا يمنعه من ذلك علو منزلته ان كانت له وان
كان العالم خاملا فان العلما بعلمهم استحقوا التعظيم
لا بالقدرة والمال انشدني بعض اهل الادب لابي
بكر بن دريد

لا تحقرن عالما وان خلقت اثوابه في عيون رامقه
وانظر اليه بعين ذي خطر مهذب الراي في طرايقه
فالمسك بينا تراه ممتهنا بفهر عطاره وساحقه
حتى تراه بعارضي ملك او موضع التاج من مفارقه

وليكن مقتديا بهم في رضي اخلاقهم متشبها بهم في جميل
افعالهم ليصير لها الفا وعليها ناشيا ولما خالفها
مجانبا فقد قال النبي صلى الله عليه خياركم شبابكم
المتشبهون بشيوخكم وشراركم شيوخكم المتشبهون
بشبابكم وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من تشبه بقوم فهو منهم وانشدني بعض اهل
الادب لابي بكر بن دريد

العالم العاقل ابن نفسه اغناه جنس علمه عن جنسه

كن ابن من شئت وكن مؤدبًا فإنما المرء بفضل كيسه
وليس من تكرمه لغيره مثل الذي تكرمه لنفسه
فليحذر المتعلم التبسط على من يعلمه وان آنسه
والادلال عليه وان تقدمت صحبته فقد قيل لبعض
الحكماء من اذل الناس فقال عالم يجري عليه حكم
جاهل وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبي
فقال لها من انت فقالت بنت الرجل الجواد
حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارعوا عزيزا ذل
ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين الجهال
ولا يظهر له الاستكفاء منه ولا الاستغناء عنه
فان في ذلك كفر النعمة واستخفافا بحقه ه
وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه لجودة ذكائه
وحدة خاطره فقصد من تعلمه بالاعنات له والاعتراض

عليه ازراء به وتبكيتا له فيكون كمن تقدم فيه المثل
السائر لابن الرطحاء
اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني
وهذا من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان
يصيروا عند من علموه مستجهلين وعند من
قدموه مسترذلين فقد قال صالح بن عبد القدوس
وان عناء ان تعلم جاهلا فيحسب جهلا انه منك افهم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهي عن سيء من اتى به اذا لم يكن منه عليه تندم
وقد رجح كثير من العلماء حق العالم على حق الوالد ه
قال بعض شعرائهم
يا فاخر السفاه بالسلف وتاركا للعلاء والشرف
آباء اجسادنا هم سبب لان جعلنا عوارض التلف

من علم الناس كان خيراً من ذلك ابو الروح لا ابو اللطف
ولا ينبغي له ان يعتقد معرفة الحق لم على قبول الشبه منه
ولا يدعوه ترك الاعتناق له على التقليد فيما اخذ عنه
فانه ربما غالا بعض الاتباع في عالمهم حتى يروا ان
قوله دليل وان لم يستدل وان اعتقاده حجة وان
لم يحتج فيفضي بهم الامر الى التسليم له فيما اخذوا عنه
ويؤول به ذلك الى التعصب فيما تصدر منه انه اجتهد
بحسب اجتهاد من يأخذ عنه فلا يبعد ان تبطل
تلك المقالة ان انفرد او تخرج اهلها من عداد
العلماء فيما شاركت لانه قد لا يرى فيهم من يأخذ عنهم
ما كانوا يرونه لمن اخذوا عنه فيطالبهم بما قصروا
فيه فيضعفون عن اثباته ويعجزون عن نصرته
فيذهبوا ضايعين ويصيروا عجزة مضعوفين ○

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس
حفل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة وكان
جوابه عنها ان قال هذه دلالة فاسدة ووجه فسادها
ان شيخي لم يذكرها وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه فامسك
عنه المستدل تعجباً ولان شيخه كان محتشماً
وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل رأي هذا الجاهل
ثم اقبل المستدل علي وقال لي والله افحمني بجهله وصار
سائر الناس المبرين من هذه الجهالة من بين مستهزئ
او متعجب او مستعيذ بالله من جهل مغرب فهل
رأيت كذلك عالماً اوغل في الجهل او دل على قلة العقل
واذا كان المتعلم معتدل الرأي فيمن يأخذ عنه
متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله الاعتناق
على اعتراض المبكتين ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين

يرى المتعلم من المذمتين وسلم العالم من المحنتين
وليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتا ولا قبول
ما صح في النفس تقليدا ۞ وقد روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال العلم خزاين ومفاتيحه المسئلة فسلوا
رحمكم الله فانما يوجر في العلم ثلثة القايل والمستمع
والآخذ وقال صلى الله عليه وسلم اسلوا اذا لم تعلموا
فانما شفا العي السؤال فامر بالسؤال وحث عليه
ونهى آخرين عن السؤال وزجر عليه فقال صلى الله عليه
انهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال وقال واياكم وكثرة السؤال فانما
هلك من قبلكم بكثرة السؤال وليس هذا مخالفا للاول
انما امر بالسؤال من قصد به علم ما جهل ونهى عنه
من قصد به اعنات ما سمع واذا كان السؤال في

موضعه ازال الشكوك ونفى الشبه وقد قيل لابن عباس
بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول
روى نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
حسن السؤال نصف العلم وانشدني المبرد عن ابي
سليمان الغنوي

مثل الفقيه تكن فقيها مثله لا خير في علم بغير تدبر
فاذا تعسرت الامور فارجها وعليك بالامر الذي لم يعسر

فليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه
وخامل ولا يطلب الصيت وبعد الذكر باتباع اهل
المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم
الا ان يستوي النفعان فيكون الاخذ عن اشتهر ذكره
وارتفع قدره اولى لان الانتساب اليه اجمل
والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك انسانا من الناس يقبله
وان صان عنك العلم الذي قد حملته اتاك له من يجتنيه ويحمله

فاذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا اسهل
عليك من وجه فلا تطلب ما صعب واذا حمدت من خبرته
فلا تطلب من لم تخبره فان العدول عن القريب الى
البعيد عنا وترك الاسهل بالاصعب بلاء والانتقال
عن المخبور الى غيره خطر وقد قال علي بن ابي طالب
عليه السلم عقبى الاخرق مضرة والمتعسف لا
تدوم له مسرة وقال بعض الحكما الفضل اسهل
من التعسف والكف اودع من التكلف وربما انبعث
نفس الانسان الى من بعد عنه استهانة بمن قرب منه
وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل
الى من لم يخبره ملالا ممن خبره فلا يدرك محبوبا

ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها
ان العالم كالحمة ياتيها البعدا ويزهد فيها القربا
وانشدني بعض شيوخنا للمسبح بن حاتم

قل ما ترجى السلامة والصحة مجموعين في انسان
لا ترى عالما يحل بقوم فيحلوه غير دار الهوان
فاذا احلتا محلا سحيقا فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة المنيفة بيت الله يسعى لحجها الثقلان
وترى ازهد البرية في الحج لها اهلها لقرب المكان

فصل

فاما ما يجب ان يكون عليه
العلما من الاخلاق التي هي بهم اليق ولهم الزم فالتواضع
ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر
وهو بكل احد قبيح وبالعلما اقبح لان الناس بهم يقتدون
فكثيرا ما تداخلهم الاعجاب لتوحدهم بفضيلة

العلم فلو انهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم
لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم احرى
لان العجب نقص ينافي الفضل لا يسمع قول النبي صلى الله
عليه ان العجب لياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
فلا يفي ما ادركوا من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص
العجب وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الفقه
خير من كثير العبادة كفى بالمرء علما اذا عبد الله
وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برايه وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من
تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم
علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه

وترفع وضعه الله به ومن تواضع بعلمه رفعه الله
وعلة اعجابهم انصراف نظرهم الى كثرة من دونهم
من الجهال وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلما فانه
ليس متناه في العلم الا سيجد من هو اعلم منه
بشي اذا العلم اكثر من ان يحيط به بشر قال الله
تعالى نرفع درجات من نشا وفوق كل ذي
علم عليم قال اهل التاويل يعني فوق كل عالم من
هو اعلم منه حتى ينتهي ذلك الى الله تعالى وقيل
لبعض الحكما من يعرف كل العلم قال كل الناس وقال
الشعبي هذا القول تفضيلا لنفسه فيستقبح منه
وانما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فمتى علم
علم ان ينظر الى نفسه بتقصير ما قصر فيه ليسلم من
عجب ما ادرك منه وقد قيل في منثور الحكم

اذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال ولكن
انظر من فوقك من العلما وانشدت لابن المعتز
من شا عيشا هنيا يستفيد به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ادبا ولينظرن الى من دونه مالا
وقلما تجد بالعلم معجبا وبما ادركه منه مفتخرا
الا من كان فيه مقلا ومقصرا لانه يجهل قدره
ويحسب انه قد نال بالدخول فيه اكثره فاما من
كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم
من بعد غايته والعجز عن ادراك نهايته ما يصده
عن العجب به وقد قال الشعبي العلم ثلثة اشبار
من نال منه شبرا شمخ بانفه وظن انه ناله ومن
نال منه الشبر الثاني صغرت اليه نفسه وعلم
انه لم ينله فاما الشبر الثالث فهيهات لا يناله احد

ابدا ومما انذرك من حالي انني صنفت في البيوع
كتابا جمعت له ما استطعت من كتب الناس واجهدت
فيه نفسي وكددت فيه خاطري حتى اذا تهذب
واستكمل وكدت اعجب به وتصورت انني اشد
الناس اطلاعا بعلمه حضرني اعرابيان وانا في مجلسي
فسالاني عن بيع عقداه في البادية على شروط
تضمنت اربع مسايل لم اعرف لشي منها جوابا
فاطرقت مفكرا وبحالي وحالهما معتبرا فقالا
اما عندك فيما سالناك جواب وانت زعيم
هذه الجماعة فقلت لا فقالا ايها لك وانصرفا
ثم اتيا من قد يتقدمه في العلم كثير من اصحابي فسالاه
فاجابهما مسرعا بما اقنعهما فانصرفا عنه راضيين
بجوابه حامدين لعلمه فبقيت مرتبكا واني لعلى ما كنت

عليه في تلك المسايل الى وقتي وكان ذلك زاجر
نصيحة ونذير عظة تذلك بهما فلا النفس
والخفض بها جناح العجب توفيقا منحته ورشدا
اوتيته والحق على من نزل العجب بالحسن ان يدع
التكلف لما لا يحسن وقد نهى الناس عنهما
واستعاذوا بالله منهما ومن اوضح ذلك بيانا استعاذة
الجاحظ في كتاب البيان حيث يقول اللهم انا نعوذ
بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل
ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك
من العجب بما نحسن ونعوذ بك من شر السلاطة
والهذر كما نعوذ بك من شر العي والحصر ونحن
مستعيذ بالله مثل استعاذته فليس لمن تكلف
ما لا يحسن غاية ينتهي اليها ولا حد يقف عنده ومن

كان تكلفه غير محدود فاخلق به ان يضل وان
يضل وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه قال
من سيل فافتى بغير علم فقد ضل واضل وقال
بعض الحكما من العلم ان لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من
يعلم فحسبك جهلا من عقلك ان تنطق بما لا تفهم
ولقد احسن زرارة بن زيد حيث يقول

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده اطال فاملى او تناهى فاقصرا
ويخبرني عن غايب المرء فعله كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

واذا لم يكن الى الاحاطة بالعلم سبيل فلا عار ان يجهل
بعضه واذا لم يكن في جهل بعضه عار لم يقبح به ان يقول
لا اعلم فيما ليس يعلمه ○ فقد روي ان رجلا قال يا رسول
الله اي البقاع خير واي البقاع شر فقال لا ادري
حتى اسال جبريل ○ وقال علي بن ابي طالب عليه السلم

وابردها على القلب اذا سئل احد كم عما لا يعلم ان يقول
الله اعلم فان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم
قليل وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
اذا ترك العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله
وقال بعض العلما هلك من ترك لا ادري وقال
بعض الحكما ليس من فضيلة العلم الا علي بان لست
اعلم وقال بعض البلغا من قال لا ادري
علم فدرى ومن انتحل ما لا يدري اهمل فهوى ولا
ينبغي وان صار في طبقة العلما الافاضل ان يستنكف
من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف له فقد
قال عيسى بن مريم عليه السلم يا صاحب العلم تعلم
من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت وقال علي
عليه السلم خمس خذوهن عني فلو ركبتم فيهن الفلك

ما وجدتموهن الا عندي الا لا يرجون احد
الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستنكفن ان
يتعلم ما ليس عنده واذا سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم
ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الراس من
الجسد وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه
لو كان احد مكتفيا من العلم لاكتفى منه موسى عليه السلم
لما قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقيل للخليل بن احمد بم ادركت هذا العلم قال كنت
اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته وقال بعضهم
من العلم ان لا تحقر من العلم شيئا ومن العلم تفضيل
جميع العلم وقال المنصور لشريك انى لك هذا العلم
قال لم ارغب عن قليل استفيده ولم ابخل بكثير
افيده على ان العلم يقضي بما بقي منه ويستدعي ما فاته

عنه وليس للراغب فيه قناعة ببعضه وروى عون
بن عبد الله عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا
اما طالب العلم فانه يزداد للرحمن رضى ثم قرا
انما يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه
يزداد طغيانا ثم قرا كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى وليكن مستقلا للفضيلة منه ليزداد
منها ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي عنها
ولا يقنع في العلم بما ادرك منه لان القناعة فيه
زهد والزهد فيه ترك والترك له جهل
وقد قال بعض الحكما عليك بالعلم والاكثار منه
فان قليله اشبه بقليل الخير وكثيره اشبه
شي بكثيره ولن تعيب ما لخير الا القلة فاما كثيره

فانها امنية وقال بعض البلغاء من فضل علمك استقلالك
لعلمك ومن كمال عملك استظهارك على عقلك ولا
ينبغي ان يحمل من نفسه مبلغ علمها ولا ان يتجاوز بها
قدر حقها ولان يكون بها مقصرا فيذعن بالانقياد
اولى من ان يكون بها متجاوزا فيكف عن الازدياد
لان من جهل حال نفسه كان لغيرها اجهل فقد
قالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله متى
يعرف الانسان ربه فقال اذا عرف نفسه وقد قسم
الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة
اقسام متقابلة لا يخلو حال الانسان منها
فقال الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري
فذلك عالم فاسلوه ورجل يدري ولا يدري انه
يدري فذلك ناس فاذكروه ورجل لا يدري ويدري

انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري
ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه
وانشد ابو القسم الامدي
اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي تسايل من يدري فكيف اذا تدري
جهلت ولم تعلم بانك جاهل فمن لي بان تدري وانك لا تدري
اذا جيت في كل الامور بغمة فكن هكذي ارضا بطال الذي يدري
ومن عجب الاشيا انك لا تدري وانك لا تدري بانك لا تدري
فليكن من شيمته العمل بعلمه وحث النفس على ان تاتمر
بما يامر به ولا يكن ممن قال الله تعالى فيه
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقد قال قتادة في قول الله تعالى
وانه لذو علم لما علمناه يعني انه عامل بما علم ه
وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال ويل لاقماع القول

وويل للمصرين يصرون الذين يستمعون القول ولا يعملون به
وروي عبد الله بن وهب عن سفيان ان الخضر قال
لموسى عليهما السلم يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به
ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك وزره
ولغيرك نوره وقال علي ابن ابي طالب عليه السلم
انما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة
انتفاع من علم بما علم ه وقال ابو الدردا اخوف
ما اخاف اذا وقفت بين يدي الله تعالى ان يقول
قد علمت فماذا عملت اذ علمت وكان يقال خير
من القول فاعله وخير من الصواب قايله وخير
من العلم حامله وقيل في منثور الحكم لم ينتفع بعلمه
من ترك العمل به ه وقال بعض العلما ثمرة العلم العمل به
وثمرة العمل به ان يوجر عليه ه وقال بعض العلما

العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل ه وقال بعض الحكما
خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع ه وقال بعض الادبا
ثمرة العلوم العمل بالمعلوم ه وقال بعض البلغا من
تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله فمن
استعمل علمه لم يخل من رشاد ومن استقل عمله لم
ينقص عن مراد وقال ابو تمام الطائي

ولم يحمدوا من عالم غير عامل خلافا ولا من عامل غير عالم
راوا طرقات المجد عوجا قطيعة وافظع عجز عندهم عجز حازم

ولانه لما كان علمه حجة على من اخذ عنه واقتبسه
منه حتى يلزمه العمل به والمصير اليه كان عليه
احج ولذا الزم لان مرتبة العمل قبل مرتبة القول
كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وقد قال ابو العتاهيه

اسمع الى الاحكام يحملها الرواة اليك عنكا
واعلم هديت بانما تجح تكن اليك منكا

ثم ليجتنب ان يقول ما لا يفعل او يامر بما لا ياتمر وان
يسر غير ما يظهر ولا يجعل قول الشاعر

اعمل بقولي وان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

عذرا له في تقصير يضره وان لم يضر غيره فان اعذار
النفس تغرها وتحسن لها مساوئها وان من قال
ما لا يفعل فقد مكر ومن امر بما لا ياتمر فقد خدع
ومن اسر غير ما يظهر فقد نافق وقد روي عن
النبي صلى الله عليه انه قال المكر والخديعة
صاحبهما في النار على ان امره بما لا ياتمر مطرح وانكاره
ما لا ينكره من نفسه مستقبح بل ربما كان ذلك
سببا لاغرا المامور بترك ما امر به عنادا وارتكاب
ما نهي عنه كيادا ه حكي ان اعرابيا اتى ابن ابي ذيب

فسالہ عن مسالة طلاق فافتاه بطلاق امراته فقال
انظر حسنا فقال قد نظرت وقد بانت منك فولى
الاعرابي وهو يقول

اتيت ابن ذيب ابتغي العلم عنده فطلقني البتة بتت انامله
اطلق في فتيا ابن ذيب حليلتي وعند ابن ذيب اهله وحلايله

فظن رحمه الله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم
الطلاق فما ظنك بقول من يستنكر الامر والمامور
فيه كيف يكون مقبولا منه وهو غير عامل به ولا
قابل له كلا وقد قال احمد بن يوسف

وعامل بالفجور يامر بالبر كهاد يخوض في الظلم
او كطبيب قد شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم
يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر اولا فلا تلم

وقال لغ

عود لسانك قلة اللفظ واحفظ كلامك انما حفظ
اياك ان تعظ الرجال وقد اصبحت محتاجا الى الوعظ

فاما الانقطاع عن العلم الى العمل او الانقطاع
عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم فقد حكى عن
الزهري فيه ما يغني عن تكلف غيره وهو انه
قال العلم افضل من العمل لمن جهل والعمل
افضل من العلم لمن علم فاما فضل ما بين العلم والعبادة
اذا لم يخل بواجب ولم ينقص في فرض فقد روي
عن النبي صلى الله عليه انه قال بعث العالم
والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال
للعالم ابتد حتى تشفع للناس ومن اداب العلما
ان لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ولا يمتنعوا من افادة
ما يعلمون فان البخل فيه لوم وظلم والمنع منه حسد

وانتم فكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير
بخل واوتوه عفوا من غير بذل ام كيف يجوز لهم
الشح بما ان بذلوه زاد ونما وان منعوه تناقص ووهى
ولو استن ذلك من تقدمهم لما وصل العلم اليهم
ولانقرض عنهم بانقراضهم ولصاروا على مرور الايام
جهالا وبتقلب الاحوال وتناقصها ارذالا
وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وروى
عن النبي صلى الله عليه انه قال لا تمنعوا العلم
اهله فان في ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم
ثم قرا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون وروى عن النبي صلى الله عليه

انه قال من كتم علما يحسنه الجمه الله يوم القيامة بلجام
من نار وروي عن علي عليه السلم انه قال ما اخذ
الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ العهد
على اهل العلم ان يعلموا وقال بعض الحكما
اذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل
فاحرى ان يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل
وقال بعض العلما كما ان الاستفادة نافلة للمتعلم
كذلك الافادة فريضة على المعلم وقد قيل في منثور
الحكم من كتم علما فكانه جاهل وقال خالد بن صفوان
اني لافرح بافادتي المتعلم اكثر من فرحي باستفادتي
من المعلم ثم له بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه
من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي صلى الله عليه
التعليم صدقة وقال صلى الله عليه تصدقوا على اخيكم

بعلم من سلك ورأى بسدده وروى ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه انه قال تعلموا وعلموا فان اجر
العالم والمتعلم سوا قيل وما اجرهما قال مائة
مغفرة ومائة درجة في الجنة ه والنفع الثاني
زيادة العلم واتقان الحفظ فقد قال الخليل
بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل
مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك وقال
ابن المعتمر في منثور الحكم النار لا ينقصها ما اخذ
منها ولكن يخمدها ان لا تجد حطبا كذلك العلم
لا يفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب
عدمه فاياك والبخل بما تعلمه وقال بعض العلماء
علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا انت قد علمت
ما جهلت وحفظت ما علمت واعلم ان المتعلمين

ضربان مستدعي وطالب فاما المستدعي الى التعلم
فهو من استدعاه العالم الى التعلم لما ظهر له من جودة
ذكائه وبان له من قوة خاطره واذا وافق استدعاء
العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك النجباء
وظفر السعداء لان العالم باستدعائه متوفر والمتعلم
بشهوته مستكثر ه واما الطالب للعلم لداع
يدعوه وباعث يحدوه فان كان الداعي دينيا وكان
المتعلم يقظا ذكيا وجب على العالم ان يكون عليه
مقبلا وعلى تعليمه متوفرا لا يخفي عنه مكنونا
ولا يطوي عنه مخزونا وان كان بليدا بعيد
الفطنة فينبغي ان لا يمنع من اليسير فيحرم ولا يحمل
عليه بالكثير فيظلم ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه
فان الشهوة باعثة والصبر موثر ه وقد روي عن

النبي صلى الله عليه انه قال لا تمنعوا العلم اهله
فتظلموا ولا تضعوه في غير اهله فتاثموا وقال
بعض الحكما لا تمنعوا العلم احدا فان العلم امنع
لجانبه فاما ان لم يكن الداعي دينيا نظر فيه فان كان
مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب المباهاة
وطلب الرياسة فالقول فيه يقارب القول في تعلم
من قبل لان العلم يعطفه الى الدين في ثاني الحال
وان لم يكن مبتديا به في اول حال وقد حكي عن
سفيان الثوري انه قال تعلمنا العلم
لغير الله فابا ان يكون الا لله وقال عبد الله بن
المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على تركها وان
كان الداعي محظورا كرجل دعاه الى طلب العلم شر
كامن ومكر باطن يريد ان يستعملهما في شبه دينيه

وحيل فقهيه لا يجد اهل السلامة منها مخلصا ولا
عنها مدفعا كما قال النبي صلى الله عليه اهلك
امتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل يا رسول
الله اي الناس شر قال العلما اذا فسدوا
فينبغي للعالم اذا راى من هذه حاله ان يمنعه من
طلبته ويصرفه عن بغيته ولا يعينه على امضا مكره
واعمال شره فقد روى انس بن مالك ان النبي صلى الله
عليه قال واضع العلم في غير اهله كمقلد
الخنازير اللولو والجوهر والذهب وقال عيسى بن مريم
عليه السلم لا تقلدوا اللولو الخنازير فالعلم افضل
من اللولو ومن لا يستحقه شر من الخنازير وحكي ان
تلميذا سال عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل
له لم منعته فقال لكل تربة غرس ولكل بناء اس

وقال بعض البلغاء لكل ثوب لابس ولكل علم قابس
وقال ـــــ بعض الادباء ارث لروضة توسطها
خنزير وابك لعلم حواه شنزير ٥ وينبغي ان يكون للعالم
فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته
وقدر استحقاقه ليعطيه ما يحتمله بذكائه او يضعف
عنه ببلادته فانه اروح للعالم وانجح للمتعلم
وقد روى ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقال
عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه اذا انا لم اعلم ما لم ار
فلا علمت ما رايت وقال عبد الله بن الزبير لا عاش
بخير من لم ير برايه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومي
الالمعي يرى باول راي اخر الامر من وراء المغيب
لوذعي له فؤاد ذكي ما له في ذكائه من ضريب

لا يروي ولا ينقلب طرفا واكف الرجال في تقلب
واذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة وكان يقدر
استحقاقهم خبيرا لم يضع له عناء ولم يخب على يديه
صاحب وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم
ومبلغ استحقاقهم كانوا واياه في عناء مكد وتعب
غير مجد لانه لا يعدم ان يكون فيهم ذكي محتاج
الى الزيادة وبليد يكتفي بالقليل فيضجر الذكي
ويعجز البليد ومن تردد اصحابه بين ضجر وعجز
ملوه وملهم وقد روى عبد الله بن وهب عن سفيان
قال قال الخضر لموسى عليهما السلم يا طالب العلم ان القايل
اقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساك اذا حدثتهم يا موسى
اعلم ان قلبك وعا فانظر ماذا تحشوا في وعايك
وقال بعض الحكما خير العلماء من لا يقل ولا يمل وقال بعض العلما

كل علم كثير على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب
عمى وانما ينفع السمع للآذان اذا قوي فهم القلوب من
الابراز. وربما كان لبعض السلاطين رغبة في
العلم لفضيلة نفسه وكرم طبعه فلا تجعل ذلك
ذريعة في الانبساط عنده والادلال عليه بل تعطيه
ما يستحقه بسلطانه وعلو يده فان للسلطان
حق الطاعة والاعظام وللعالم حق القبول
والاكرام لا ينبغي ان يتبذل به الا بعد الاستدعا
ولا يزيد على قدر الكفاية فربما احب بعض العلما
اظهار علمه للسلطان والناس فصار ذلك ذريعة
الى ملله ومفضيا الى بعده لان السلطان منقسم
الافكار مستوعب الزمان فليس له في العلم فراغ
المنقطعين اليه ولا صبر المنفردين به وقد حكي عن

الاصمعي قال قال الرشيد يا عبد الملك انت اعلم
منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا في ملاء ولا تسرع الى
تذكيرنا في خلاء واتركنا حتى نبتديك بالسوال
فاذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد
الا ان نستدعي ذلك منك انظر الى ما الطف في التاديب
وانصف في التعليم وبلغ باوجز لفظ غاية التقويم
وليخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج
التعليم والافادة لان التاخير للتعليم مخلة تصير
بحل السلطان نهاها فان ظهر منه خطل او زلل في قول
او عمل لم يجاهره بالرد وعرض بما يستدرك زلله و
واصلاح خطله حكي ان عبد الملك بن مروان
قال للشعبي كم عطاك قال الفين قال لحنت قال
لما ترك امير المومنين الاعراب كرهت ان اعرب كلامي

عليه ثم ليحذر اتباعه في جانب الدين ويضاد
الحق موافقة لرأيه ومتابعة لهواه فكم زلت
أقدام العلماء في ذلك رغبة أو رهبة فضلوا وأضلوا
وقد روى الحسن البصري قال قال رسول الله صلى الله
عليه لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه
ما لم يمال قراؤها أمراءها ولم يزل صلحاؤها فجارها
وما لم يمال خيارها أشرارها فإذا فعلوا ذلك رفع
يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فيسومونهم سوء
العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعبا
ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبهة المكاسب
والقناعة بالميسور عن كد المطالب فإن شبهة
المكاسب إثم وكد الطلب ذل والأجر أحرى
به من الإثم والعز أحق به من الذل استشهد في بعض

أهل الأدب لعلي بن عبد العزيز القاضي
يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من في الأرض أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهنهها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدى فيم أو لما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما
على أن العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن
كان صادق النية فيه لم يكن له همة فيما يجد بدا منه ه

وقد قال بعض الحكما من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة
ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة ومن آنسه قراة القران
لم توحشه مفارقة الاخوان وقال بعض الحكما لا سمير
كالعلم ولا ظهير كالحلم ومن آدابهم ان تقصدوا وجه الله
بتعليم من علموا او تطلبوا ثوابه بارشاد من ارشدوا
من غير ان تعتاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه
رزقا فقد قال الله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا قال ابو العالية لا تاخذوا عليه اجرا
وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول يا ابن ادم علم
مجانا كما علمت مجانا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اجر المعلم كاجر الصايم القايم وحسب من هذا
اجره ان يلتمس اجرا ومن ادابهم نصح من علموا
والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم وبذله المجهود في

رفدهم ومعونتهم فان ذلك اعظم لاجرهم واسنى لذكرهم
وانشر لعلومهم وارسخ لمعلومهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه
انه قال لعلي بن ابي طالب عليه السلام يا علي لان
يهدي الله بك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس ومن
ادابهم ان لا يعنفوا متعلما ولا يحقروا ناشيا ولا يستصغروا
مبتديا فان ذلك ادعى اليهم واعطف عليهم
واحث على الرغبة فيما لديهم وقد روى عن النبي صلى الله
عليه انه قال وقروا من تتعلمون منه ووقروا
من تعلمونه ومن ادابهم ان لا يمنعوا طالبا ولا ينفروا
راغبا ولا يويسوا متعلما لما في ذلك من قطع الرغبة
منهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفض الى
انقراض العلم بانقراضهم فقد روى عن النبي صلى الله عليه
انه قال الا انبيكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى

علموا ولا تعنفوا فان
المعلم خير من المعنف وروي عنه
صلى الله عليه انه قال

يا رسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم
من روح الله ولا يدع القرآن رغبة الى ما سواه الا لا خير
في عبادة ليس فيها تفقه وعلم ليس فيه تفهم وقراءة ليس
فيها تدبر فهذه جملة كافية والله ولي التوفيق

باب أدب الدين

ان الله سبحانه وتعالى انما كلف خلقه متعبداته و
الزمهم مفترضاته وابعث اليهم رسله وشرع
لهم دينه لغير حاجة دعته الى تكليفهم ولا من ضرورة
قادته الى تعبدهم وانما قصد نفعهم تفضلا منه عليهم
كما تفضل بما لا يحصى عددا من نعمه بل النعمة فيما تعبدهم
به اعظم لان نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدنيا
العاجلة ونفع المتعبدات يشتمل على نفع الدنيا والاخرة
وما جمع نفع الدنيا والاخرة كان اعظم نعمة واكثر تفضلا

وجعل ما تعبدهم به ماخوذا من عقل متبوع وشرع
مسموع فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع والشرع
متبوع فيما لا يمنع منه العقل لان الشرع لا يرد
بما يمنع منه العقل والعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع
ولذلك توجه التكليف الى من كمل عقله فارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
فبلغهم رسالته والزمهم حجته وبين لهم شريعته وتلا
عليهم كتابه فيما احله وحرمه واباحه وحظره واستحبه
وكرهه وامر به ونهى عنه وما وعد به من الثواب
لمن اطاعه واوعد به من العقاب لمن عصاه وكان
وعده ترغيبا ووعيده ترهيبا لان الرغبة تبعث
على الطاعة والرهبة تكف عن المعصية والتكليف
يجمع امرا بطاعة ونهيا عن معصية فلذلك كان التكليف

مقروناً بالرغبة والرهبة وكان ما تخلل كتابه من
قصص الامم السالفة واخبار القرون الخالية عظة واعتبارا
تقوى معهما الرغبة ويزداد بهما الرهبة وكان ذلك
من لطفه بنا وتفضله علينا فالحمد لله الذي نعمه لا
تحصى وشكره لا يؤدى ثم جعل الى رسوله بيان ما كان مجملا
وتفسير ما كان مشكلا وتحقيق ما كان محتملا ليكون
له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض
اليه قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين
للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ثم جعل الى العلما
بعد رسوله استنباط ما نبه على معانيه واشار الى
اصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه الى علم المراد به فيمتازوا
بذلك عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله
تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

وقال وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
فصار الكتاب اصلا والسنة فرعا واستنباط العلما
ايضاحا وكشفا وروى عن النبي صلى الله عليه انه قال
اصل علم الشريعة نصه ودليله والحكمة بيان رسول الله
صلى الله عليه والامة المجتهدة حجة على من شذ
عنها وكان من رافته بخلقه وتفضله على عباده ان اقدرهم
على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما
قد تعبدهم به ناهضين بفعل الطاعات ومجانبة
المعاصي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا
وسعها وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج
وجعل ما كلفهم ثلثة اقسام فقسما امرهم باعتقاده وقسما
امرهم بفعله وقسما امرهم بالكف عنه ليكون اختلاف
جهات التكليف ابعث على قبوله واهون على فعله

حكمة منه ولطفا وجعل ما امرهم باعتقاده قسمين
قسما اثباتا وقسما نفيا فاما الاثبات فاثبات توحيده
وصفاته وبعثة رسله وتصديق محمد صلى الله عليه
فيما جا به واما النفي فنفي الصاحبة والولد والحاجة والقبائح
اجمع وهذان القسمان اول ما كلفه العاقل وجعل
ما امرهم بفعله ثلثة اقسام قسما على ابدانهم كالصلوة
والصيام وقسما في اموالهم كالزكوات والكفارات وقسما
على ابدانهم وفي اموالهم كالحج والجهاد ليسهل عليهم
فعله ويخف عنهم اداوه نظرا منه لهم وتفضلا منه عليهم
وجعل ما امرهم بالكف عنه ثلثة اقسام قسما لاحياء
نفوسهم وصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل واكل الخبائث
والسموم وشرب الخمور المودية الى فساد العقول
وزوالها وقسما لانسابهم وصلاح ذات بينهم كنهيه عن

الغصب والغلبة والظلم والسرف المفضي
الى القطيعة والبغضاء وقسما لحفظ انسابهم وتعظيم
محارمهم كنهيه عن الزنى ونكاح ذوات المحارم
وكانت نعمته فيما حظره كنعمته فيما اباحه لنا وتفضله
فيما نهانا عنه كتفضله فيما امرنا به فهل يجحد العاقل
في رؤيته مساغا ان يقصر فيما امر به وهو نعمة عليه
او يرى فسحة في ارتكاب ما نهى عنه وهو تفضل
عليه وهل يكون من انعم عليه بنعمة فاهملها مع شدة
فاقته اليها الا مذموما في العقل مع ما جا من وعيد
الشرع ثم من لطفه بخلقه وتفضله على عباده ان جعل
من جنس كل فريضة نفلا وجعل لها من الثواب قسطا
وندبهم اليه ندبا وجعل لهم بالحسنة عشرا ليضاعف
ثواب فاعله ويضع العقاب عن تاركه ومن لطفه

حكمته ان جعل لكل عبادة حالين حالة كمال وحالة جواز
رفقا منه بخلقه لما سبق في علمه ان فيهم العجل
المبادر والبطئ المتثاقل ومن لا صبر له على اداء الاكمل
ليكون ما اخل به من هيآت عباداته غير قادح في
فرض ولا مانع من اجر وكان ذلك من نعمه علينا وحسن
نظره لنا وكان اول ما فرض بعد تصديق نبيه عبادات
الابدان وقدمها على ما تعلق بالاموال لان
النفوس على الاموال اشح وبما تعلق بالابدان اسمح وذلك
الصلوة والصيام فقدم فرض الصلوة على الصيام
لان الصلوة اسهل فعلا وايسر عملا وجعلها مشتملة
على خضوع له وابتهال اليه فالخضوع له رهبة منه
والابتهال اليه رغبة فيه ولذلك قال النبي صلى الله
عليه اذا قام احدكم الى صلوته فانما يناجي ربه فلينظر

احدكم بما يناجيه وروى عن علي كرم الله وجهه انه كان كلما
دخل عليه وقت الصلوة اصفر مرة واحمر اخرى فقيل
له في ذلك فقال اتتني الامانة التي عرضت على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها
انا ولا ادري اسيء فيها ام احسن ثم جعل لها شروطا
لازمة من رفع حدث وازالة نجس لتستديم الطاعة
للقاء ربه والطهارة لاداء فرضه ثم ضمنها تلاوة
كتابه المنزل ليتدبر ما فيه من امره ونواهيه
ويعتبر باعجاز الفاظه ومعانيه ثم علقها باوقات
راتبة وازمان مترادفة ليكون ترادف ازمانها
وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له والابتهال
اليه فلا تنقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه واذا
لم تنقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق

وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاؤهما على
الكمال او التقصير فيهما عن حال الجواز وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوة مكيال
فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال
الله تعالى في المطففين ه وروي عن النبي صلى الله عليه
انه قال من هانت عليه صلوته كانت على الله اهون
وانشد عن بعض صلحاء الشعراء

اتهاون على صلواتك الخمس كم مصبح وعساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديد بتوبة تمحوا ذنوب صحيفة الامس
فليفعلن بوجهك الغض البلى فعل الظلام بصورة الشمس

ثم فرض الله تعالى الصيام وقدمه على زكوات الاموال
لتعلق الصيام بالابدان وكان في ايجابه حث على
رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعاتهم لما قد
عانوه من شدة المجاعة في صومهم وقد قيل ليوسف
عليه السلم لم تجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع ثم لما في الصوم من قهر النفس واذلالها
وكسر الشهوة المستولية عليها واشعار النفس ما
هي عليه من الحاجة الى يسير الطعام والشراب والمحتاج
الى الشي ذليل به وبهذا احتج الله تعالى على من اتخذ
عيسى وامه الهين من دونه فقال ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا
ياكلان الطعام فجعل حاجتهما الى الطعام نقصا فيهما
عن ان يكونا الهين وقد وصف الحسن البصري رحمه الله
في قصة نقص الانسان بالطعام وغيره فقال مسكين
ابن ادم مكتوم الاجل مكتوم الامل مستور العلل
يتكلم بلحم وينطق بشحم ويسمع بعظم اسير جوعة صريع

شبعة تؤذيه البقة وتنتنه العرقة وتقتله
الشرقة لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حيوة ولا نشورا فانظر الى لطفه بنا فيما اوجبه
من الصيام علينا كيف ايقظ العقول له وقد كانت
عنه غافلة او متغافلة ونفع النفوس به ولم
تكن لولاه منتفعة ولا نافعة ثم فرض زكوات الاموال
وقدمها على فرض الحج لان في الحج مع انفاق المال
سفرا شاقا وكانت النفس الى الزكوة اسرع اجابة
منها الى الحج وكان في ايجابها مواساة للفقرا ومعونة
لذوي الحاجات يكفهم عن التغضب ويمنعهم من
التقاطع ويبعثهم على التواصل لان الامل وصول
والراجي هايب واذا زال الامل وانقطع الرجا واستدت
الحاجة وقعت البغضا واشتد الحسد فحدث التقاطع

بين ارباب الاموال والفقرا وتقع العداوة بين ذوي
الحاجات والاغنيا حتى تفضي الى التغالب على
الاموال والتغرير بالنفوس مع ما في اداء الزكوة من
تمرين النفس على السماحة المحمودة ومجانبة الشح
المذموم لان السماحة تبعث على اداء الحقوق
والشح يصد عنها وما بعث على اداء الحقوق فاجدر
به حمدا وما صد عنها فاخلق به ذما وقد روى ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه قال شر ما اعطي العبد
شح هالع او جبن خالع فسبحان من دبرنا بلطيف
حكمته واخفى عن فطنتنا جزيل نعمته حتى استوجب
من الشكر باخفائها اعظم مما استوجبه بابدائها
ثم فرض الحج وكان اخر فروضه لانه يجمع عملا على بدن
وحقا في مال فجعل فرضه بعد استقرار فروض الابدان

وعروض الاموال فيكون استيناسهم بكل واحد من النوعين
ذريعة الى تسهيل ما جمع النوعين وكان في الحاربه
تذكير ليوم الحشر في مفارقة المال والاهل
وخضوع العزيز والذليل في الوقوف بين يديه واجتماع
المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة اليه
واقلاع اهل المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على
ما اسلفوه فقل من حج الا واحدث توبة من ذنب
واقلاعا عن معصية ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم من علامة الحجة المبرورة ان يكون صاحبها بعدها
خيرا منه قبلها وهذا صحيح لان الندم على الذنوب
مانع من الاقدام عليها والتوبة منها مكفرة لما سلف
منها فاذا اقلع عما كان يقدم عليه ابان عن صحة
توبته وصحة التوبة تقتضي قبول حجه ثم نبه

جعل لسبيل خالقه اسبابا ولدفع عجزه حيله دله
عليها بالعقل وارشده اليها بالفطنة قال تعالى
والذي قدر فهدى قال مجاهد قدر
احوال خلقه فهداك الى سبيل الخير والشر
وقال ابن مسعود في قوله تعالى وهديناه
النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر
ثم لما كان العقل دالا على اسباب ما تدعو الحاجة
اليه جعل الله تعالى الادراك والنطق موقوفين
على ما قسم وقدر كيلا يعتمدوا في الادراك على عقولهم
وفي العجز على فطنهم لتدوم له الرغبة والرهبة
ويظهر منه الغنا والقدرة وربما عزب هذا
المعنى عمن ساطنه بخالقه حتى صار سببا
لضلاله كما قال بعض الشعرا

سبحان من انزل الايام منازلها وصير الناس مرفوضا ومرموقا
فعاقل فطن اعيت مذاهبه وجاهل خرق تلقاه مرزوقا
ذاك الذي ترك الالباب حايرة وصير العاقل النحرير زنديقا

ولو حسن ظن العاقل في صحة نظره لعلم من علل
المصالح ما صار بها صديقا لا زنديقا لان من علل
المصالح ما هو ظاهر ومنها ما هو غامض ومنها ما هو
مغيب حكمة استاثر بها ولذلك قال النبي صلى الله
عليه حسن الظن بالله من عبادة الله ثم ان الله تعالى
جعل اسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي جعلها
دار تكليف وعمل كما جعل الاخرة دار قرار وجزا
فلزم لذلك ان تصرف الانسان الى دنياه حظا من
عنايته لانه لا غنا به عن التزود منها لاخرته ولا له
بد من سد الخلة فيها عند حاجته وليس في هذا

القول نقض لما ذكرنا قبل من ترك فضولها وزجر النفس عن
الرغبة فيها بل الراغب فيها ملوم وطالب فضولها
مذموم والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة
والفضول انما ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية
وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه فاذا
فرغت فانصب والى ربك فارغب قال اهل
التاويل فاذا فرغت من امر دنياك فانصب في عبادة
ربك وليس هذا القول منه ترغيبا لنبيه صلى الله
عليه فيها ولكن ندبه الى اخذ البلغة منها وعلى
هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه
ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا الاخرة للدنيا ولكن
خيركم من اخذ من هذه وهذه وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم

الاخرة وذم رجل الدنيا عند علي بن ابي طالب
عليه السلم فقال علي الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها
وحكى مقاتل ان ابرهيم الخليل عليه السلم
قال يا رب حتى متى اتردد في طلب الدنيا فقيل
له امسك عن هذا فليس طلب المعاش من طلب الدنيا
وقال سفيان الثوري مكتوب في التورية اذا
كان في البيت بر فتعبد واذا لم يكن فاطلب يا ابن ادم
حرك يدك يسبب لك رزقك وقال بعض
الحكما ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون
العرض فيها وقال بعض الادبا ليس من الحرص
ما ينفيه البذل وقال محمود الوراق
لا تتبع الدنيا وايامها ذما وان دارت بك الدايره

من شرف الدنيا ومن فضلها ان بها تستدرك الاخره
واذ قد لزم بما بيناه النظر في امور الدنيا فواجب
سبر احوالها والكشف عن جهة انتظامها واختلالها
ليعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد
عمرانها وخرابها لينتفي عن اهلها شبه الحيرة وتنجلي
لهم اسباب الخيرة فيقصدوا الامور من ابوابها
ويعتمدوا الصلاح من قواعدها واسبابها
اعلم ان صلاح الدنيا معتبر من وجهين اولهما ما ينتظم
به امور جملتها والثاني ما يصلح به حال كل واحد
من اهلها فهما شيان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه
لان من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلاف
امورها لن يعدم ان يتعدى اليه فسادها ويقدح
فيه اختلالها لان منها يستمد ولها يستعد

ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا واستظام امورها
لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثرا
لان الانسان دنيا نفسه فليس يرى الصلاح الا
اذا صلحت له ولا يجد الفساد الا اذا فسدت
عليه لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره
الى ما يخصه مصروفا وفكره على ما يمسه موقوفا
واعلم ان الدنيا لم تكن قط لجميع اهلها مسعدة
ولا عن كافة ذويها معرضة لان اعراضها عن
جميعهم عطب واسعادها لكافتهم فساد لائتلافهم
بالاختلاف والتباين واتفاقهم بالمساعدة والتعاون
فاذا تساوى جميعهم لم يجد احدهم الى الاستعانة
بغيره سبيلا وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا
فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا واذا

تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعاونة متواصلين
بالحاجة لان ذا الحاجة وصول والمحتاج اليه
موصول وقد قال الله تعالى ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم يعني للاختلاف
قال الحسن مختلفين في الرزق فهذا غني
وهذا فقير ولذلك خلقهم يعني للاختلاف
بالغنى والفقر وقال الله تعالى والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق غير ان الدنيا
اذا صلحت كان اسعادها موفورا واعراضها
ميسورا لانها اذا منحت هنت واودعت
واذا استردت رفقت وابقت واذا فسدت
الدنيا كان اسعادها مكرا واعراضها غدرا
لانها اذا منحت كدرت واتعبت واذا استردت

استأصلت واجحفت ومع هذا فصلاح الدنيا مصلح
لسائر اهلها لوفور اماناتهم وظهور دياناتهم وفسادها
مفسد لسائر اهلها وقد وجد ذلك في شاهد
الحال تجربة وعرفا كما تقتضيه دليل الحال
تعليلا وكشفا فلا شي انفع من صلاحها كما انه
لا شي اضر من فسادها لان ما به تقوى ديانات
الناس وتتوفر اماناتهم فلا شي احق به نفعا كما ان ما
به تضعف دياناتهم وتذهب اماناتهم
فلا شي اجدر به ضررا وانشد لابي بكر بن دريد
الناس مثل زمانهم قد الحذا على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك في تقلبه وحاله
وكذا اذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله
واذ قد بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدأ بذكر

ما يصلح به الدنيا ثم نتلوه بوصف ما يصلح
به حال الانسان فيها اعلم ان ما به تصلح الدنيا
حتى تصير احوالها منتظمة وامورها ملتئمة
ستة اشيا هي قواعدها وان تفرعت وهي
دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل
وامن عام وخصب دار وامل فسيح
فاما القاعدة الاولى وهي الدين المتبع
فلانه يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف
القلوب عن اراداتها حتى يصير قاهرا للسرائر
زاجرا للضمائر رقيبا على النفوس في خلواتها
نصوحا لها في ملماتها وهذه امور لا يوصل
بغير الدين اليها ولا يصلح الناس الا عليها فكان
الدين اقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها

واجدى الامور نفعا في انتظامها وسلامتها ولذلك
لم يخل الله تعالى خلقه مذ فطرهم عقلاء من تكليف
شرعي واعتقاد ديني ينقادون لحكمه فلا تختلف
بهم الآراء ويستسلمون لامره فلا تتفرق بهم الاهواء
وانما اختلف العلماء في العقل والشرع هل جاءا
مجيئا واحدا او سبق العقل ثم تعقبه الشرع
فقالت طائفة جاء العقل والشرع معا
مجيئا واحدا لم يسبق احدهما صاحبه وقالت
طائفة اخرى بل سبق العقل ثم تعقبه الشرع
لان بكمال العقل يستدل على صحة الشرع
وقد قال الله تعالى ايحسب الانسان
ان يترك سدى وذلك لا يوجد منه الا عند
كمال عقله فثبت ان الدين من اقوى القواعد

في صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح
الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق
بالعاقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا
وقد قال بعض الحكماء الادباء الادب ادبان ادب
شريعة وادب سياسة فادب الشريعة
ما ادى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض وكلاهما
يرجع الى العدل الذي به سلامة السلطان
وعمارة البلدان لان من ترك الفرض فقد ظلم
نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره
وقال سعيد بن حميد
ما صحة الدنيا بنافعة حتى يصح الدين والخلق
واما القاعدة الثانية فهي سلطان قاهر تتألف
برهبته الاهواء المختلفة وتجتمع لهيبته القلوب

المتفرقه وتنكف بسطوته الايدى المتغالبه
وتنقمع من خوفه النفوس المعانده لان في طباع
الناس من حب المغالبة على ما اثروه والقهر لما
عاندوه ما لا ينكفوا عنه الا بمانع قوى
ورادع ملى وقد افصح المتنبي بذلك حيث يقول
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وهذه العله المانعة من الظلم لا تخلوا من احد
اربعة اشيا اما عقل زاجر او دين حاجز او
سلطان رادع او عجز صاد ه واذا تاملتها لم تجد
خامسا يقترن بها ورهبة السلطان ابلغها لان
العقل والدين ربما كانا مضعوفين او بدواعي
الهوى مغلوبين فيكون رهبة السلطان اشد

اجماعا فاما في بلدان شتى وامصار متباعده فقد
ذهبت طايفة شاذة الى جواز ذلك لان الامام
مندوب الى المصالح فاذا كانا اثنين في بلدين او ناحيتين
كان كل واحد اقوم بما في يديه واضبط لما يليه ولانه
لما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد
ذلك الى ابطال النبوة كانت الامامة اولى
ولا يودى ذلك الى ابطال الامامة وذهب
الجمهور الى ان اقامة امامين في عصر واحد لا يجوز شرعا
لما روى عن النبي صلى الله عليه انه قال اذا بويع لاميرين
فاقتلوا احدهما وروى عنه صلى الله عليه انه
قال ان وليتم ابا بكر تجدوه قويا في دين الله
ضعيفا في بدنه وان وليتم عمر وجدتموه قويا
في دين الله قويا في بدنه وان وليتم عليا تجدوه

هادياً لأحد بأ فتبيّن بظاهر هذا الكلام أنّ إقامة
جميعهم في وقت واحد لا يصحّ ولو صحّ لأشار إليه
ونبّه عليه والذي يلزم سلطان الأمّة من أمورها
سبعة أشيا أحدها حفظ الدين من تبديل فيه
والحثّ على العمل به من غير إهمال له والثاني
حراسة البيضة والذبّ عن الأمّة من عدوّ
في دين أو باغي نفس أو مال والثالث عمارة
البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها
ومسالكها والرابع تقدير ما يتولاه من الأموال
بسنن الدين من غير تحريف في أخذها وعطائها
والخامس معاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين
أهلها واعتماد النصفة في فصلها والسادس
إقامة الحدود على مستحقّها من غير تجاوز

فيها ولا تقصير عنها والسابع اختيار خلفائه في
الأمور أن يكونوا من أهل الكفاية فيها والأمانة
عليها فإذا فعل من أفضى إليه سلطان الأمّة
ما ذكرنا من هذه الأشيا السبعة كان مؤدّيا
لحقّ الله فيهم مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم
مستحقّا لصدق ميلهم ومحبّتهم وإن قصّر عنها
ولم يقم بحقّها وواجباتها كان بها مؤاخذا
وعليها معاقبا ثمّ هو من الرعيّة على استبطان
معصية ومقت يتربّصون الفرص لإظهارهما
وينتهزون الدوائر لإعلانهما وقد قال الله
تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا وفي
قوله عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم تأويلان

احدهما ان العذاب الذي من فوقهم أمراء السوء والذي
من تحتهم عبيد السوء وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه
والثاني ان العذاب من فوقهم الرجم والذي من تحت
ارجلهم الخسف وهذا قول مجاهد وسعيد
ابن جبير وفي قوله تعالى او يلبسكم شيعا تاويلان
احدهما انه الاهواء المختلفة وهذا قول ابن عباس
رضي الله عنه والثاني انه الفتن والاختلاط وهذا
قول مجاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من امير على عشرة الا وهو يجي يوم القيامة
مغلولة يداه الى عنقه حتى يكون عمله هو الذي
يطلقه او يوبقه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال خيار ائمتكم الذين تحبونهم
ويحبونكم وشرار ائمتكم هم الذين تبغضونهم ويبغضونكم

فيلعنونهم ويلعنونكم وهذا صحيح لانه اذا كان
ذا خير احبهم واحبوه واذا كان ذا شر ابغضهم وابغضوه
وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد
بن وقاص ان الله تعالى اذا احب عبدا حببه الى
خلقه فاعرف منزلتك من الله تعالى بمنزلتك من
الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما لله عندك
فكان هذا موضحا المعنى لما ذكرنا واصل هذا ان خشية
الله تعالى تبعث على طاعته في خلقه وطاعته
في خلقه تبعثهم على محبته فلذلك كانت محبتهم دليلا
على خيره وبغضهم دليلا على شره وقلة مراقبته وقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض خلفائه
اوصيك ان تخشى الله تعالى في الناس ولا تخشى الناس
في الله وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه اني اخاف الله

تعالى فلما تقلدت فقال لست اخاف عليك ان تخاف
وانما اخاف عليك ان لا تخاف وهذا واضح لان الخائف
من الله تعالى مأمون الحيف كالذي روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال لابي مريم السلولي
وكان الذي قتل اخاه زيدا والله اني لا احبك حتى
تحب الارض الدم قال فتمنعني ذلك حقا قال لا
قال فلا ضير انما يأسى على الحب النساء وروى عبد
الرحمن بن محمد قال اصدق طلحة بن عبيد الله
ام كلثوم بنت ابي بكر مائة الف درهم وهو اول من
اصدق هذا القدر فمر بالمال على عمر بن الخطاب
فقال ما هذا فقالوا صداق ام كلثوم بنت ابي بكر
قال ادخلوه بيت المال واخبر طلحة فقيل له كلمه
فقال ما انا بفاعل لان كان عمر يرى له فيه حقا لا يرده

بكلامي ولئن كان لا يرى فيه حقا ليردنه قال فلما
اصبح عمر امر بالمال فدفع الى ام كلثوم وحكي
ان الرشيد حبس ابا العتاهية فكتب على حائط الحبس
اما والله ان الظلم لوم وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
فاخبر الرشيد بذلك فبكى بكاء شديدا ودعا ابا العتاهية
فاستحله ووهب له الف دينار واطلقه ۝

واما القاعدة الثالثة فهي عدل شامل
يدعو الى الالفة ويبعث على الطاعة وتعمر به الارض
وتنمو به الاموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان
وقد قال الهرمزان لعمر حين رآه قد نام متبذلا عدلت
فامنت فنمت ۝ وليس شيء اسرع في خراب الارض ولا
افسد لضمائر الخلق من الجور لانه ليس يقف على حد

ولا ينتهي الى غايته ولا لكل جزء منه قسط من الفساد
حتى يستكمل وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال بيس الزاد الى المعاد العدوان على
العباد وقال النبي صلى الله عليه ثلث منجيات
وثلث مهلكات فاما المنجيات فالعدل في الغضب
والرضا وخشية الله في السر والعلانيه والقصد في
الغنا والفقر واما المهلكات فشح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وحكي ان الاسكندر
قال لحكما الهند وقد راى قلة الشرايع بها لم
صارت سنن بلادكم قليله فقالوا لاعطاينا
الحق من انفسنا ولعدل ملوكنا فينا فقال لهم ايما افضل
العدل ام الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل استغنى
عن الشجاعة وقد قال بعض الحكما بالعدل والانصاف

يكون مدة الائتلاف وقال بعض البلغاء ان العدل
ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه
في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه واستعن على
العدل بخلتين قلة الطمع وكثرة الورع واذا كان
العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها
الا به ولا صلاح فيها الا معه وجب ان يبدا بعدل
الانسان في نفسه ثم بعدله في غيره فاما عدله
في نفسه فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبايح
ثم بالوقوف في احوالها على اعدل الامرين من تجاوز
او تقصير فان التجاوز فيها جور والتقصير فيها ظلم
ومن ظلم نفسه فهو لغيره اظلم ومن جار عليها فهو على
غيره اجور وقد قال بعض الحكما من توانى في نفسه
ضاع واما عدله مع غيره فقد ينقسم حال الانسان

مع غيره ثلثة اقسام فالقسم الاول عدل الانسان
فيمن دونه كالسلطان مع رعيته والرئيس مع اصحابه
فعدله يكون في اربعة اشيا باتباع الميسور
وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة
وابتغا الحق في السيرة فان اتباع الميسور ادوم
وحذف المعسور اسلم وترك التسلط اعطف
على المحبة وابتغا الحق ابعث على النصرة وهذه امور
ان لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد بنظره اكثر
والاختلال بتدبيره اظهر وقد روي عن النبي صلى
الله عليه انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة
من اشركه الله في سلطانه فجار في حكمه وقال بعض
الحكما الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم وقال
بعض الادبا ليس للجاير جار ولا تعمر له دار وقال

بعض البلغاء اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ
السهام دعوة المظلوم وقال بعض حكما الملوك
العجب ممن استفسد رعيته وهو يعلم ان عزه بطاعتهم
وقال اردشير بن بابك اذا رغب الملك عن العدل
رغبت الرعية عن الطاعة وعوتب انوشروان
على ترك عقاب المذنبين فقال هم المرضى ونحن
الاطبا فاذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم ه والقسم الثاني
عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها
والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلثة اشيا باخلاص
الطاعة وبذل النصرة وصدق الولا فان اخلاص
الطاعة اجمع للشمل وبذل النصرة ادفع للوهن ه
وصدق الولا انفى لسو الظن وهذه امور ان لم تجتمع
في المرعي تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر

الى ابقاء من كان يتقى عنه كما قال البحترى
متى احوجت ذا كرم تخطى اليك ببعض افعال اللئيم
وفي استمرار هذه الحال انحلال نظام جامع وفساد صلاح شامل
وقد قال انوشروان لا تطمع من فوقك يطمع
من دونك وقال بعض الحكماء الظلم مسلبة النعم
والبغي مجلبة النقم وقال بعض البلغاء ان الله
تعالى لا يرضى عن خلقه الا بتادية حقه وحقه شكر
النعمة ونصح الامة وحسن الصنيعة ولزوم
الشريعة والقسم الثالث عدل الانسان مع الاكفاء
وقد يكون بثلثة اشياء بترك الاستطالة ومجانبة
الادلال وكف الاذى لان ترك الاستطالة الف
ومجانبة الادلال عطف وكف الاذى انصاف
وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء اسرع فيهم تقاطع

الاعداء فتفسدوا وافسدوا وقد روى عمر بن عبد
العزيز عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا انبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول
الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده
ثم قال افلا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول
الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ثم قال
افلا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال
من يبغض الناس ويبغضونه وروى ان عيسى بن مريم
قام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل
لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم
يا بني اسرائيل الامور ثلثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر
تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فردوه

الى الله تعالى وهذا الحديث جامع لاداب العدل
في الاحوال كلها وقد قال بعض الحكما كل عقل
لا يداري به الكل فليس بعقل تام وقال بعض الشعرا
ما دمت حيا فدار الناس كلهم فانما انت في دار المداراة
وقد يتعلق بهذه الطبقات امور خاصة يلوح على الهم
فيها ما التوسط في حال التقصير والسرف لان العدل
ماخوذ من الاعتدال فما جاوز الاعتدال فهو خروج
عن العدل وقد قالت الحكما الفضايل هيات متوسطة
بين حالتين ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين
فالحكمة واسطة بين الشر والجهالة والشجاعة
واسطة بين التهور والجبن والعفة واسطة بين
الشره وضعف الشهوة والسكينة واسطة بين السخط
وضعف الغضب والغيرة واسطة بين الحسد

قوة الشهوة

وسو العادة والظرف واسطة بين الخلاعة والفدامة
والتواضع واسطة بين الكبر ودناة النفس والسخا واسطة
بين التقتير والتبذير والحلم واسطة بين افراط الغضب
وعدمه والمودة واسطة بين الخلابة وجفا الخلق
والحيا واسطة بين الوقاحة والحصر والوقار واسطة
بين الهزل والسخافة واذا كان ما خرج عن الاعتدال
الى ما ليس باعتدال شر وجاء عن العدل الى ما ليس بعدل
كان ما خرج عن الاولى الى ما ليس باولى شر وجاء عن العدل
الى ما ليس بعدل ه وقد قال بعض البلغاء
السلطان السو يخيف البري ويصطنع الدني
والبلد السو يجمع السفل ويورث العلل والولد
السو يشين السلف ويهدم الشرف والجار السو
يفشي السر ويهتك الستر فجعل هذه الاشيا كرحمها

عن الاولى الى ما ليس باولى خرج عن العدل الى ما ليس
بعدل فلست تجد فسادا الا وسبب نتيجته
الخروج فيه عن حال العدل الى ما ليس بعدل من
حالتي الزيادة والنقصان فان لا شي انفع من العدل
كما انه لا شي اضر مما ليس بعدل واما القاعدة
الرابعة فهو امن عام تطمئن اليه النفوس وتنتشر فيه
الهمم ويسكن فيه البري ويانس به الضعيف فليس
لخايف راحة ولا لحاذر طمانينة وقد
قال بعض الحكما الامن اهنا عيش والعدل
اقوى جيش ولان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم
ويحجزهم عن تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد
التي بها قيام اودهم وانتظام جملتهم ولان
كان الامن من نتايج العدل والجور من نتايج ما ليس

بعدل فقد يكون الجور تارة بمقاصد الادميين فلا يكون
خارجة عن حال العدل فمن اجل ذلك لم يكن ما سنق
من حال العدل ممتنعا عن ان يكون الامن في انتظام الدنيا
تاعما كالعدل واذا كان ذلك كذلك فالامن المطلق
ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم تارة فتنوعه ان يكون
تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال
وعمومه ان يستوعب جميع الاحوال ولكل واحد من
انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن وقد يختلف
باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون
بحسب اختلاف الرعية فيما يخيف عليه فمن
اجل ذلك لم يكن ضعف حال كل واحد من انواعه
بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن لا سيما والخايف
على الشي مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره فهو يظن

اذا خارجة عن حال العدل تارة بان يكون تارة خارجة عن مقاصد الادميين

أن لا خوف إلا إياه ويغفل عن مقدار النعمة بالأمن
فيما سواه فصار كالمريض الذي هو بمرضه مشاغل
وعما سواه غافل ولعل ما صرف عنه أعظم مما بلي
به وإنما يوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي حكي أن
رجلا قال وأعرابي حاضر ما أشد وجع الضرس
فقال الأعرابي كل داء أشد داء كذلك من عمه الأمن
كمن استولت عليه العافية فهو لا يعرف قدر
النعمة بأمنه حتى يخاف كما لا يعرف المعافى قدر
النعمة بعافيته حتى يصاب وقال بعض الحكما
إنما تعرف النعمة بمقاساة ضدها وأخذ ذلك

أبو تمام الطائي فقال

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

فالأولى بالعاقل أن يتذكر عند مرضه وخوفه قدر
النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وأمنه وما انصرف
عنه مما هو أشد من مرضه وخوفه ليستبدل بالشكوى
شكرا وبالجزع صبرا فيكون مسرورا فرحا حكي أن
يعقوب قال ليوسف عليهما السلام حين لقيه أي شيء كان
خبرك بعدي قال لا تسألني عما فعله بي إخوتي
سلني عما صنعه بي ربي وقد قال الشاعر

لا تنس في الصحة أيام السقم فإن عقبى تارك الحزم الندم

وأما القاعدة الخامسة فهي خصب دار
تتسع به الأحوال ويشترك فيه ذوو الإكثار والإقلال
فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم
وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساة والتواصل
وذلك من أقوى الدواعي لصلاح الدنيا وانتظام أحوالها
ولأن الخصب يؤول إلى الغنى والغنا يحدث الأمانة

والسخاء كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه لا تستقضين الا ذا حسب ومال
فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب
في مال غيره وقال بعض السلف اني وجدت خير الدنيا
والاخرة في خصلتين وشرهما في خصلتين خير الدنيا والاخرة
في التقى والغنى وشرهما في الفجور والفقر وقال بعض الشعرا

ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر

وحسب الغنى يلوذ اهلا لذا البخيل واعطاوه والباذر
الجواد وسخاوه كما قال دعبل

لان كنت لا تولي يدا دون امرة فلست بمول نائلا اخر الدهر
واي اناء لم يفض عند مليه واي بخيل لم ينل ساغه الوفر

واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت
كان الجدب يحدث من اسباب الفساد ما ضادها

زجرا واقوى ردعا وقد روي عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان السلطان ظل الله في الارض ياوي اليه
كل مظلوم وروي عن النبي انه قال ان الله ليزع
بالسلطان ما لا يزع بالقران وروي عن النبي
صلى الله عليه انه قال ان لله حراسا في السما
وحراسا في الارض فحراسه في السماء الملائكة
وحراسه في الارض الذين يقبضون ارزاقهم ويذبون
عن الناس وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال
الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي
بعض الشر خيار وقال عبد الله بن
مسعود السلطان يفسد وما يصلح الله تعالى
به اكثر فان عدل كان له الاجر وعليكم الشكر وان
جار فعليه الوزر وعليكم الصبر وروى ابو هريرة

قال سبّت العجم بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وقال لا تسبوها فانها عمرت بلاد
الله فعاش فيها عباد الله وقال بعض البلغاء
السلطان في نفسه امام متبوع وفي سيرته دين
مشروع فان ظلم لم يعدل احد في حكم وان عدل لم
يجسر احد على ظلم وقال بعض الادباء ان اقرب الدعوات
من الاجابة دعوة السلطان الصالح واولى الحسنات
بالاجر والثواب امره ونهيه في وجوه المصالح فهذه
آثار السلطان في الدنيا واحوالها وما ينتظم به امورها
ثم لما في السلطان من حراسة الدين والذب عنه
ودفع الاهواء منه وحراسة التبديل فيه وزجر من شذ
عنه بارتداد او بغى فيه بعناد او سعى فيه بفساد
وهذه امور ان لم تنحسم عن الدين بسلطان قوي

ورعاية وافية اسرع فيه تبديل ذوي الاهواء
وتحريف ذوي الآراء فليس دين زال سلطانه الا
بدلت احكامه وطمست اعلامه وكان لكل زعيم
فيه بدعة ولكل عصر فيه وهاية اثر كما ان السلطان
ان لم يكن عن دين تجتمع به القلوب حتى يرى اهله
الطاعة فرضا والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان
لبث ولا للايام صفو وكان سلطان قهر ومفسد
دهر ومن هذين الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان
الوقت وزعيم الامة ليكون الدين محروسا بسلطانه
والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه ○
وقد قال عبد الله ابن المعتز الملك بالدين
يبقى والدين بالملك يقوى واختلف الناس هل
وجب ذلك بالعقل او بالشرع فقالت طائفة

وجب بالعقل لان معلوما من حال العقلاء على
اختلافهم الفزع الى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم
وذهب اخرون الى وجوبه بالشرع لان المقصود
بالامام القيام بامور شرعية كاقامة الحدود
واستيفا الحقوق وقد كان يجوز الاستغناء عنها
بان لا يرد التعبد بها فبان يجوز الاستغنا عما
لا يراد الا لها اولى وعلى هذا اختلفوا في بعثة
الانبيا فمن قال بوجوب ذلك بالشرع منع
من وجوب بعثة الانبيا لانه اذا كان المقصود
ببعثتهم تعريف المصالح الشرعية وكان
يجوز من المكلفين ان لا تكون هذه الامور مصلحة
لهم لم تجب بعثة الانبيا اليهم فاما اقامة
امامين او ثلثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز

وكما ان صلاح الخصب عام فكذلك فساد الجدب
عام وما عم به الصلاح ان وجد وعم به الفساد
ان فقد فاحرى ان يكون من قواعد الصلاح
ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب
في المكاسب وخصب في المواد فاما خصب المكاسب
فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتائج الامن
المقترن به واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب
الالهية وهو من نتائج العدل المقترن بها ٥
واما القاعدة السادسة فهو امل فسيح
يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه ويحث على
انشاء ما ليس يوثق في دركه بحيوة اربابه ولولا ان الثاني
يرتفق بما انشاه الاول حتى يصير به مستغنيا
لافتقر اهل كل عصر الى انشا ما يحتاجون اليه من منازل

السكنى واراضى الحرث وفى ذلك من الاعوان ونفاذ
الامكان ما لا خفا به فلذلك ما ارفق الله تعالى خلقه
ما اتساع الامال حتى عمر بها الدنيا فعم صلاحها
وصارت تنتقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتم الثانى
ما ابقاه الاول من عمارتها ويرمم الثالث ما احدثه
الثانى من شعثها ليكون احوالها على الاعصار ملتئمة
وامورها على مرور الدهر منتظمة ولو قصرت
الامال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى
ضرورة وقته ولكانت تنتقل الى من بعده خرابا لا يجد
فيها بلغة ولا يدرك منها حاجة ثم ينتقل منه الى من
اسوا من ذلك حالا فلا ينمى لها نبت ولا يمكن فيها لبث
وقد روى عن النبى صلى الله عليه انه قال الامل رحمة من
الله تعالى لامتى ولولاه ما غرس غارس شجرا ولا ارضعت

ام ولدا وقال الشاعر

وللنفوس وان كانت على وجل من المنية امال تقويها
فالصبر يبسطها والدهر يقبضها والنفس ينشرها والموت يطويها

فاما حال الامل فى امر الاخرة فهو من اقوى الاسباب فى
الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها وقد افصح لبيد بن ربيعة
مع اعرابيته بما يشير به حال الامل فى الامرين فقال

واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزرى بالامل
غير ان لا تكذبنها بالتقى واخزها بالبر لله الاجل

وفرق ما بين الامال والامانى ان الامال ما تقيدت
باسباب والامانى ما تجردت عنها فهذه القواعد الست
التى بها تصلح احوال الدنيا وتنتظم امور جملتها فان كملت
فيها كمل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا
وان يكون صلاحها عاما شاملا لانها موضوعة على التغير

والفنا منشاة على التصرم والانقضا ه سمع بعض الحكما
رجلا يقول قلب الله الدنيا قال اذا تستوى
لانها مقلوبة وقال بعض الشعرا
ومن عادة الايام ان خطوبها اذا سر منها جانب سا جانب
وما تعرف الايام الا دنية ولا الدهر الا وهو للثار طالب
وبحسب ما اختلف من قواعدها يكون اختلافها وتباينها
فصل واما ما يصلح به حال
الانسان فيها فثلثة اشيا هي قاعدة امره ونظام حاله
وهي نفس مطيعة الى رشدها منتهية عن غيها والفة
جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه
بها ومادة كافية تسكن نفسه اليها ويستقيم اوده
بها فاما القاعدة الاولى التي هي نفس
مطيعة فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته

ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها احرى
ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولى
قال بعض الحكما لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة
غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه وقال الشاعر
اتطمع ان يطيعك قلب سعدى وتزعم ان قلبك قد عصاكا
وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد
فاما النصح فهو ان ينظر الى الامور بحقايقها فيرى الرشد
رشدا ويستحسنه ويرى الغي غيا ويستقبحه وهذا
يكون من صدق النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك
قيل من تفكر ابصر واما الانقياد فهو ان تسرع الى الرشد
اذا امرها وتنتهي عن الغي اذا زجرها وهذا يكون من
قبول النفس اذا اتقت منازعة الشهوات قال الله
تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا

عظيما وللنفس آداب هي من تمام طاعتها وكمال مصلحتها
وقد افردنا لها من هذا الكتاب بابا واعرضنا في هذا
الموضع ما اقتضاه الترتيب واستدعاه التقريب

واما القاعدة الثانية التي هي الالفة
الجامعة فلان الانسان مقصود بالاذية محسود
بالنعمة فاذا لم يكن آلفا مالوفا تخطفته ايدي حاسديه
وتحكمت فيه اهواء اعاديه فلم تسلم له نعمة ولم تصف
له مدة واذا كان آلفا مالوفا انتصر بالالفة على اعاديه
وامتنع بهم من حساده فسلمت نعمته منهم وصفت مدته
عنهم وان كان صفو الزمان عسرا وسلمه خطرا ۝
وقد روى ابن جريج عن عطاء عن جابر عن النبي صلى الله
عليه انه قال المومن آلف مالوف ولا خير فيمن لا
يالف ولا يولف وخير الناس انفعهم للناس وروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويكره لكم
قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال وكل ذلك
حث منه على الالفة والعرب تقول من قل
ذل وقال قيس بن عاصم

ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش ايد
عزت فلم تكسر وان هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

واذا كانت الالفة بما ذكرنا تجمع الشمل وتمنع الذل
اقتضت الحال ذكر اسبابها واسباب الالفة خمسة
وهي الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر فاما الدين
وهو الاول من اسباب الالفة فلانه يبعث على التناصر

ومنع من التقاطع والتدابر ومثل ذلك وصى رسول
الله صلى الله عليه اصحابه فروى سفيان عن الزهري
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا
عباد الله اخوانا لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث
وهذا وان كان اجماعهم في الدين يقتضيه فهو على وجه
التحذير من تذكر تراث الجاهلية واحن الضلالة
فقد بعث رسول الله صلى الله عليه والعرب اشد
الناس تقاطعا وتعاديا واكثرهم اختلافا وتمانعا
حتى ان بني الاب الواحد كانوا يفترقون احزابا
مختلفة تنشى بينهم بالتحزب والافتراق احقاد
الاعدا واحن البعداء وكانت الانصار اشدهم
تقاطعا وتعاديا وكان بين الاوس والخزرج من الاختلاف

والتباين اكثر من غيرهم الى ان اسلموا فذهبت احنهم
وانقطعت عداوتهم وصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين
وبالفة الدين اعوانا متناصرين قال الله تعالى
واذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا يعني اعداء في الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاسلام
وقال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا يعني حبا وعلى حسب التاليف
على الدين تكون العداوة فيه ان اختلف باهله فان
الانسان قد يقطع في الدين من كان به برا وعليه مشفقا
هذا ابو عبيدة بن الجراح وقد كانت له المنزلة العالية
في الفضل والاثر المشهور في الاسلام قتل اباه يوم
بدر واتى براسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طاعة لله ولرسوله حين بغى على ضلاله وهو انهمك

في طغيانه فلم يعطفه عليه رحم ولا الفه عنه اشفاق
وهو من ابر الاسباب تغليبا للدين على النسب ولطاعة
الله تعالى على طاعة الاب وفيه انزل الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او
اخوانهم او عشيرتهم وقد يختلف اهل الدين على
مذاهب شتى واراء مختلفة فيحدث بين المختلفين
فيه من العداوة والتباين مثل ما يحدث بين المختلفين
في الاديان وعلة ذلك ان الدين والاجتماع على العقد
الواحد فيه لما كان من اقوى اسباب الالفة
فيه كان الاختلاف فيه من اقوى اسباب الفرقة
واذا تكافا اهل الاديان المختلفة والمذاهب المتباينة
ولم يكن احد الفريقين اعلى يدا واكثر عددا كانت

العداوة بينهم اقوى والاحن فيهم اعظم لانه ينضم الى
عداوة الاختلاف تحاسد الاكفاء وتنافس النظرا
واما النسب وهو الثاني من اسباب الالفة فلان
تعاطف الارحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر
والالفة ويمنعان من التخاذل والفرقة انفة من
استعلاء الاباعد على الاقارب وتوقيا من تسلط
الغرباء الاجانب وقد روي عن النبي صلى الله عليه و[اله]
انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت
ولذلك حفظت العرب انسابها لما امتنعت عن سلطان
يقهرها ويكف الاذى عنها ليكونوا به متظافرة
على من ناواه متناصرة على من شاقها وعاداها
حتى بلغت بالفة الانساب وتناصرها عز القوى
الايد وتحكم فيه تحكم المتسلط المتشطط وقد

عن نبي الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة
تنصره وقال لمن بعث اليه لو ان لي بكم
قوة او اوي الى ركن شديد يعني الى عشيرة مانعة
فروى ابو سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال رحم الله لوطا لقد كان ياوي
الى ركن شديد يعني الله عز وجل قال رسول الله صلى
الله عليه فما بعث الله بعده من نبي الا في ثروة
من قومه وقال وهب لقد وجد الرسل
على لوط وقالوا ان ركنك لشديد وروى عن النبي
صلى الله عليه انه كان لا يترك مفرجا حتى يضمه الى قبيلة
يكون منها وقال الرياشي المفرج الذي لا ينتمي الى
قبيلة يكون منها فكل ذلك حث منه صلى الله
عليه على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال

صلى الله عليه من كثر سواد قوم فهو منهم اذا كان
النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد يعرض له
عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المنافية لها
فاذن قد لزم ان نصف حال الانساب وما
يعرض لها من الاسباب وجملة الانساب انها
قد تنقسم ثلثة اقسام قسم والدون وقسم مولودون
وقسم مناسبون ولكل صنف منهم منزلة من البر
والصلة وعارض يطرا فيبعث على العقوق
والقطيعة فاما الوالدون فهم الاباء والامهات
والاجداد والجدات وهم موسومون مع سلامة احوالهم
بخلقين احدهما لازم بالطبع والثاني حادث
بالاكتساب فاما ما كان لازما بالطبع فهو الحذر
والاشفاق وذلك لا ينفصل عن الوالد بحال وقد روي

عن النبي صلى الله عليه انه قال لكل شيء ثمرة وثمرة
القلب والفؤاد الولد وروي عن النبي صلى الله عليه
انه قال الولد مبخلة محملة مجبنة محزنة
فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف
ويحدث هذه الاخلاق وقد كره قوم طلب الولد كراهية
لهذه الحال التي لا يقدر الانسان على دفعها عن
نفسه للزومها طبعا وحدوثها حتما وقد قيل
ليحيى بن زكريا ما بال ذكره الولد قال ما لي وللولد ان عاش
كدني وان مات هدني وقيل لعيسى بن مريم
عليه السلم الا تتزوج فقال انما تحب التكاثر في
دار البقاء واما ما كان حادثا بالاسباب مع المحنة
التي تنمى مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات وقد
روي عن النبي صلى الله عليه انه قال الولد لوط

يعني ان حبه يلتصق بنياط القلب فان انصرف الوالد
عن حب الولد فليس ذلك لبغضة منه ولكن لسلوة حدثت
من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي
لا يزول عنه ولا ينتقل منه ⊙ وقد قال محمد
بن علي ان الله تعالى رضي الاباء للابناء فحذرهم
فتنتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للاباء فاوصاهم
بهم وان شر الابناء من دعاه التقصير الى العقوق
وشر الاباء من دعاه البر الى الافراط والامهات
اكثر اشفاقا واوفر حبا لما باشرن من الولادة
وعانين من التربية وانهن ارق قلوبا والين نفوسا
وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف من الابناء
عليهن اوفر جزاء لفعلهن وكفاء لحقهن وان كان الله
تعالى قد اشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصية

فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقد روى
ان رجلا اتى الى النبي صلى الله عليه فقال ان لي اما
انا مطيتها افعدها على ظهري ولا اصرف عنها
وجهي وارد اليها كسبي فهل جزيتها قال لا ولا
بزفرة واحدة قال ولم قال لانها كانت تخدمك
وهي تحب حيوتك وانت تخدمها وانت تحب موتها
وقال الحسن البصري حق الوالد اعظم وبر الوالدة
الزم ٥ وروى عن النبي صلى الله عليه انه قال انهاكم
من عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات
وروى خالد بن معدان عن المقدام قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول ان الله تعالى يوصيكم
بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم
يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب واما المولودون

فهم الاولاد واولاد الاولاد والعرب تسمي ولد الولد الصفوة
وهم مخصوصون مع سلالة ابوابهم بخلقين احدهما لازم
والاخر مستقبل فاما اللازم فهو الانفة للآباء من تضييع
او خمول والانفة في الابناء في مقابلة الاشفاق
في الآباء وقد لحظ ابو تمام الطائي هذا المعنى في شعره فقال
ما اصبحت ملقاى الزمان من اجله باعظام مولود واشفاق والد
واما المستقبل فهو الاذلال وهو اول حال الولد والاذلال
في الابناء في مقابلة المحبة في الآباء لان المحبة بالآباء
اخص والاذلال بالابناء امس ٥ وقد روى عن عمر رضي الله
عنه انه قال قلت يا رسول الله ما بالنا نرق
على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم
ولم يلدونا ثم ان الاذلال في الابناء قد ينتقل مع الكبر
الى احد امرين اما الى البر والاعظام واما الى الجفاء

والعقوق فان كان الولد رشيدا او كان الاب برا
عطوفا صار الادلال برا واعظاما وقد روى
الزهري عن عامر بن شراحيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الحر بن عبد الله ان حق الوالد على الولد
ان يخشع له عند الغضب ويؤثره على نفسه عند
السغابة والنصب فان المكافي ليس بالواصل ولكن
الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وان كان الولد
عاويا او كان الولد جافيا صار الادلال قطيعة وعقوقا
ولذلك قال النبي صلى الله عليه رحم الله امرا اعان
ولده على بره وبشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بمولود فقال ريحانة اشمها ثم هي عن قريب ولد
بار او عدو ضار وقد قيل في منثور الحكم العقوق
ثكل من لم يثكل وقال بعض الحكما ابنك ريحانتك

سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا ثم هو صديق
او عدو واما المناسبون فهم من عدا الابا
والابنا ممن يرجع بتعصب او رحم والذي يحصل
بالحمية الباعثة على النصرة وهي ادنى شيء من
الانفة لان الانفة يمنع من التهضم والخمول معا
والحمية تمنع من التهضم وليس لها في كراهية الخمول
نصيب الا ان يقترن بهما ما يبعث على الانفة
وحمية المناسبين اعانة تبعث على النصرة على البعداء
الاجانب وهي معرضة لحسد الادانى والاقارب
موكولة الى منافسة الصاحب بالصاحب فان حرست بالتواصل
والتلاطف تالفت اسبابهما وامنت الحمية
النسب مصافاة المودة وذلك اوكد اسباب
الالفة وقد قيل لبعض الفرس ايما احب اليك اخوك

او صديقك قال اخي اذا كان صديقا وقال
مسلمة بن عبد الملك العيش في ثلث سعة المنزل
وكثرة الخدم وموافقة الاهل وقال بعض الحكما
البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته
وان اهملت الحال بين المناسبين ثقة بلحمة النسب
واعتمادا على حمية القرابة غلب عليها مقت
الحسد او منازعة التنافس فصارت المناسبة
عداوة والقرابة بعدا وقال الكندي في بعض
رسايله الاب رب والولد كمد والاخ فخ والعم
غم والخال وبال والاقارب عقارب وقال
عبد الله بن المعتز لحوم اهلهم لحمي وهم ياكلونه وما داهيات
المرء الا اقاربه ۞ ومن اجل ذلك امر الله تعالى
بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال تعالى

فقال
احسن الله بنا ان الخطايا لا تفوح فاذا المستور منا بين ثوبيه فضوح
وهذا كله ماخوذ من قول النبي صلى الله عليه
لو تكاشفتم ما تدافنتم وكتب رجل الى ابي العتاهية
يا ابا اسحق اني وانت مثل بودك فاغنني ما بي انت على غني برشدك
فاجابه ابو العتاهية فقال
اطع الله بجهدك راغبا او دون جهدك
اعط مولاك الذي تطلب من طاعة عبدك
وقال بعض الحكما من سره بنوه ساءته نفسه
فاخذ المعنى ابو العتاهية فقال
ان دنى الابن كلما زاد منه مسرعا زاد في فنا ابيه
ما بقا الاب الملح عليه بريب البلى شباب بنيه
وفي معناه ما حكي عن زر بن حبيش انه عاش مائة

وعشرين سنة فلما حضرته الوفاة انشا يقول
اذا الرجال ولدت اولادها وارتعشت من كبر اجسادها
وجعلت اسقامها تعتادها تلك زروع قد دنا حصادها
وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس فاجابه
الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار
الدار جنة عدن ان عملت بما يرضي الله وان خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا انت مختار

باب ادب الدنيا

ان الله تعالى لما قدرته وبالغ حكمته خلق
الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره وكان من لطيف
ما دبر وبديع ما قدر ان خلقهم محتاجين وفطرهم عاجزين
ليكون بالغنا منفردا وبالقدرة مختصا حتى يشعرنا
بقدرته انه خالق ويعلمنا بغنايه انه رازق
فنذعن بطاعته رغبة ورهبة ونقر بنقصاننا
عجزا وحاجة ثم جعل الانسان اكثر حاجة من
جميع الحيوان لان من الحيوان ما يستقل بنفسه عن
جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه
واستعانته صفة لازمة لطبعه وخلقة
قايمة في جوهره ولذلك قال سبحانه
وتعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني ضعيفا عن
الصبر عما هو اليه مفتقر واحتمال ما هو عنه
عاجز ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان
كان اظهر عجزا لان الحاجة الى الشي افتقار اليه
والمفتقر الى الشي عاجز به وقد قال بعض الحكما
المستغنى بن استغناوك عن الشي خير من استغنايك
به وانما خص الله سبحانه الانسان بكثرة الحاجة

وظهور العجز نعمة عليه ولطفا به ليكون ذل
الحاجة ومهانة العجز يمنعان من طغيان الغنى
وبغي القدرة لان الطغيان مركوز في طبعه
اذا استغنى والبغي مستول عليه اذا قدر وقد
انبا الله تعالى بذلك عنه فقال كلا ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى ثم ليكون اقوى
الامور شاهدا على نقصه واوضحها دليلا على عجزه
انشدني بعض اهل الادب لابن الرومي
اعيرتني بالنقص والنقص شامل ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل
واشهد اني ناقص غير انني اذا قيس بي قوم كثير تقللوا
كثير
تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجى ففي ايما هذين انت فتفضل
ولو منح الله الكمال ابن ادم لخلده والله ما شا يفعل
ولما خلق الله تعالى الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز

بما يعاني فيه من مشاق السفر المودي اليه على موضع
النعمة من فاهة الاقامة وانسة الاوطان ليحنو على
من سلب هذه النعمة من ابنا السبيل ثم اعلم عشاهد
حرمه الذي انشا منه دينه وبعث فيه رسوله
ثم مشاهد دار الهجرة التي اعز الله بها اهل طاعته واذل
بنصرة نبيه اهل معصيته حتى خضع له عظما المتجبرين
وتذلل له غوما المتكبرين انه لم ينتشر عن ذلك المكان
المنقطع ولا قوي بعد الضعف اليسير حتى طبق الارض
شرقا وغربا الا بمعجزة ظاهرة ونصر عزيز فاعتبر
الهمك الله الشكر ووفقك للتقوى انعامه عليك
فيما كلفك واحسانه اليك فيما تعبدك فقد وكلك
الى فطنتك واحلتك على بصيرتك لعلك ان كنت لك ابدا
صدوقا وناصحا شفيقا اهل الحسن بهو صابشكره

اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك كلا انه لا يوليك
نعمة توجب شكرا الا وصلها قبل شكرها ما سلف
بنعمة توجب الشكر في المستانف ولذلك قال الحسن
بن علي عليهما السلام نعم الله اكثر من ان تشكر الا ما اعان
عليه وذنوب ابن ادم اكثر من ان تغفر الا ما عفى
عنه. وانشدت لمنصور بن اسمعيل الفقيه المصري رحمه الله
شكر الاله نعمة موجبة لشكره فكيف شكري بره
وشكره من بره. واذا كنت عن شكر نعمه عاجزا
فكيف بك اذا فرطت فيما امرك او فرطت فيما
كلفك ونفعه اعود عليك لو فعلته هل تكون
لسوابغ نعمه الا كفورا وببداية العقول الا مزجورا
وقد قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال مجاهد اي يعرفون ما عدد الله عليهم

من نعمه وشكر وثنا بقولهم انهم ورثوا ذلك عن ابائهم
واكتسبوها. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقول الله تعالى يا ابن ادم ما انصفتني
اتحبب اليك بالنعم وتتمقت الي بالمعاصي خيري
اليك نازل وشرك الي صاعد كم من ملك كريم
يصعد الي منك بعمل قبيح. وقال بعض صلحاء السلف
قد اصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة
ما نعصيه فلا ندري ايهما نشكر اجميل ما نشر ام
قبيح ما يستر. فحق على من عرف موقع النعمة ان
يقبلها ممتثلا لما كلف فيها ويقوم بما يكون بازائها
ثم يشكر الله على ما انعم به من ابتدائها فان بنا من
الحاجة الى نعمه اكثر مما كلفنا من نعمه فان اخر ادائنا
حق النعم في التكليف تفضل بابتداء النعمة من غير

حمة التكليف فلمن تمت النعمتان ومن لزمته النعمتان فقد
اوتي حظ الدنيا والاخرة وهذا هو السعيد على الاطلاق
وان قصرنا في اداء ما كلف من نعمة فقصر عنا ما لا يكلف
فيه من نعمة فتفرقت النعمتان ومن تفرقت عنه النعمتان
فقد سلب حظ الدنيا والاخرة فلم يكن له في الحيوة
حظ ولا في الموت راحة وهذا هو الشقي بالاستحقاق
وليس يختار الشقوة على السعادة ذو لب صحيح
ولا عقل سليم قال الله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وروى الاعمش
عن مسلم قال قال ابو بكر رحمة الله عليه يا رسول
الله ما اشد هذه الاية من يعمل سوءا يجز به فقال يا ابا بكر
ان المصيبة في الدنيا جزاء واختلف المفسرون
في تاويل قوله تعالى سنعذبهم مرتين فقال احدهم

احد العذابين الفضيحة في الدنيا والثاني عذاب القبر
وقال عبد الرحمن بن زيد احد العذابين مصايبهم
في الدنيا في اموالهم واولادهم والثاني عذاب الاخرة
في النار وليس وان نال اهل المعاصي لذة من
عيش او ادركوا امنية من دنيا كانت عليهم نعمة بل قد يكون
ذلك استدراجا ونقمة ۝ وروى بن لهيعة عن عقبة
بن مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه
قال اذا رايت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤن على معاصيهم
اياه فانما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ۝ فاما اسباب
المحرمات التي منع الشرع منها واستقر التكليف عقلا
او سمعا بالنهي عنها فتنقسم قسمين منها ما يكون للنفس داعية

إليها والشهوات باعثة عليها كالسفاح وشرب الخمر
فقد زجر الله تعالى عنها لقوة الباعث عليها وشدة
الميل إليها بنوعين من الزجر أحدهما حد عاجل يرتدع
به الجري والثاني وعيد آجل يزدجر به التقي
ومنها ما تكون النفوس نافرة عنه والشهوات مصروفة
عنها كأكل الخبائث والمستقذرات وشرب السموم
المتلفات فاقتصر الله سبحانه في الزجر عنها بالوعيد
وحده دون الحد لأن النفوس مسعدة في الزجر
عنها والشهوات مصروفة عن ركوب المحظور منها
ثم أكد الله تعالى زواجره بإنكار المنكر بينها
فأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسد الزواجر
لأن النفوس الأشرة قد ألهتها الصبوة عن اتباع
الأوامر وأذهلتها الشهوة عن تذكار الزواجر وكان

انكار المجانسين أزجر لها وتوبيخ المخالطين أبلغ فيها
ولذلك قال النبي صلى الله عليه ما أقر قوم بينهم
المنكر إلا عمهم الله بعذاب يحتضر وإذا كان
ذلك كذلك فلا يخلوا حال من رأى المنكر من أحد أمرين
أحدهما أن يكونوا آحادا متفرقين أو أفرادا متبددين
لم يتحيزوا إليه ولم يتظافروا عليه وهم رعية مقهورون
وأشداد مستضعفون فلا خلاف بين الناس
أن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة وظهور
القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعليه
أو سمعه من قائليه وإنما اختلفوا في وجوب ذلك
على منكريه هل وجب عليهم بالعقل أو بالشرع
فذهب بعض المتكلمين إلى وجوب ذلك بالعقل لأنه
لما وجب بالعقل أن يمنع من القبيح وجب أيضا بالعقل

ان يمنع غيره منه لان ذلك ادعى الى مجانبته وابلغ
في مفارقته وقد روى عبد الله بن المبارك قال قال
رسول الله صلى الله عليه ان قوما ركبوا سفينة في
البحر فاقتسموا واخذ كل رجل منهم موضعا فنقر رجل
منهم موضعه بفاس فقالوا ما تصنع فقال هو مكاني
اصنع به ما شئت فلم ياخذوا على يده فهلك
وهلكوا وذهب اخرون الى وجوب ذلك بالشرع
دون العقل لان العقل لو اوجب النهي عن المنكر ومنع
غيره من القبيح لوجب مثله على الله تعالى ولما جاز
ورود الشرع باقرار اهل الذمة على المنكر وترك
النكير عليهم لان واجبات العقول لا يجوز ابطالها
بالشرع وفي ورود الشرع بذلك دليل على ان العقل
غير موجب لانكاره فاما اذا كان في ترك انكاره

مضرة من انكاره ولم يلحقه مضرة من كفه وانزاره
لم يجب عليه الانكار لا بالعقل ولا بالشرع اما
العقل فلانه يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازيها
نفع واما الشرع فقد روى ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه انه قال انكر المنكر بيدك
فان لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك وذلك
اضعف الايمان فان اراد الاقدام على الانكار مع خوف الضرر
به نظر فان لم يكن اظهار النكير مما يتعلق باعزاز دين الله
ولا اظهار كلمة الحق لم يجب عليه النكير اذا خشي بغالب
الظن تلفا او ضررا ولم يجز منه النكير ايضا وان كان
في اظهار النكير اعزاز دين الله واظهار كلمة الحق حسن
معه النكير مع خشية الاضرار والتلف وان لم يجب
عليه اذا كان الغرض فيه يحصل بالنكير وان اشتهر او قل

وعلى هذا الوجه قال النبي صلى الله عليه ان
افضل الاعمال كلمة حق عند سلطان جائر فاما ان كان
يقتل قبل حصول الغرض فيقبح في العقل لا محاله
وكذلك لو كان الانكار يزيد المغري اغراء بفعل المنكر
ولجاجا في الاستكثار منه قبح في العقل انكاره والحال
الثانية ان يكون فعل المنكر من جماعة قد تظاهروا
عليه وعصبة قد تحزبت ودعت اليه فقد
اختلف الناس في وجوب انكاره على مذاهب شتى
فقالت طائفة من اصحاب الحديث واهل الاثار
لا يجب انكاره والاولى للانسان ان يكون كافا ممسكا
وملازما لبيته وادعا غير منكر ولا مستنفر وقالت
طائفة اخرى ممن يقول بظهور المنتظر لا يجب انكاره
ولا التعرض لازالته الا ان يظهر المنتظر فيتولى

انكاره بنفسه فيكونوا حينئذ اعوانه وقالت طائفة
اخرى منهم الاصم لا يجوز للناس انكاره الا ان
يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم الانكار معه
وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب عليه والدفع
عنه لازم على شروطه في وجود اعوان يصلحون
له فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان الكف
لان الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض فيه وذلك
قبيح في العقل ان يعرض له فهذا احكام ما كلف الله تعالى
به اوامره وابدته زواجره من الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وما اختلف من احوال الامرين والناهين عنه
ثم ليس يخلو حال الناس فيما امروا به ونهوا عنه
من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من اربعة
احوال فمنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويكف

عن ارتكاب المعاصي وهي اكمل احوال الدين وافضل صفات
المتقين فهذا يستحق جزا العاملين وثواب المطيعين
وروى محمد بن عبد الملك المدني عن نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه الذنب لا ينسى
والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شيت فكما تدين
تدان وقد قيل كل يحصد ما يزرع ويجزى بما يصنع
بل قالوا زرع يومك حصاد غدك ومنهم من يمتنع
من فعل الطاعات ويقدم على ارتكاب المعاصي
فهي اخبث احوال المكلفين وشر صفات المتعبدين
فهذا يستحق عذاب اللاهي عن فعل ما امر به من طاعاته
وعذاب المجترئ على ما اقدم عليه من معاصيه وقد
قال ابن شبرمه عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة
الداء كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار فاخذ

ذلك بعض الشعراء فقال
جسمك قد افنيته بالحمي دهرا من البارد والحار
وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي حذر النار
وقال ابن مبارك انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة
الله تعالى اهون من الصبر على عذاب الله وقال اخر
اصبروا عباد الله على عمل الاغنا بكم عن ثوابه ولا
تصبروا على عمل لا صبر لكم على عقابه وقيل للفضيل
بن عياض رضي الله عنه فقال كيف يرضى عني ولم
ارضه ومنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويقدم
على ارتكاب المعاصي فهذا يستحق عذاب المجترئ
لانه تورط بغلبة الشهوة على الاقدام على المعصية
وان سلم من التقصير في فعل الطاعة وقد روي
عن النبي صلى الله عليه انه قال اقلعوا عن المعاصي

قبل ان يأخذكم الله هتّا بتّا الهتّ الكسر والبتّ القطع
ولذلك قال بعض العلما افضل الناس من لم تفسد الشهوة
دينه ولم تزل الشبهة يقينه وقال حماد بن زيد
عجبت لمن يحتمي من الاطعمة لمضرتها كيف لا يجتنب
الذنوب لمعرتها وقال بعض الصلحا اهل الذنوب
مرضى القلوب وقيل للفضيل بن عياض ما اعجب الاشيا
فقال قلب عرف الله ثم عصاه وقال بعض الالبا
يدل بالطاعة العاصي وينسى عظيم المعاصي
وقال رجل لابن عباس ايما احب اليك رجل
قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير الذنوب
كثير العمل فقال ابن عباس لا اعدل بالسلامة شيا وقيل
لبعض الزهاد ما تقول في صلوة الليل فقال خف
الله تعالى بالنهار ونم بالليل وسمع بعض الزهاد

رجلا يقول لقوم اهلككم النوم فقال بل اهلككم
اليقظة وقيل لابي هريرة ما التقوى فقال
اجتزت في ارض فيها شوك قال نعم فقال
كيف كنت تصنع قال كنت اتوقى قال فتوق
الخطايا وقال عبد الملك بن المبارك
ايضمن لي فتى ترك المعاصي وارهنه الكفالة بالخلاص
اطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي
ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب
المعاصي فهذا استحق عذاب اللاهي عن دينه المنذر
بقلة يقينه وروى ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر
الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت
صحف موسى كلها عبر عجبت لمن ايقن بالنار ثم هو يضحك
وعجبت لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن

ايقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها ثم يطمئن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا
ثم لا يعمل ۝ روى عن النبي صلى الله عليه انه قال اجتهدوا
في العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي وهذا
واضح المعنى لان الكف عن المعاصي ترك وهو اسهل
وعمل الطاعات فعل وهو اثقل ولذلك لم يبح الله تعالى
ارتكاب معصية بعذر ولا بغير عذر لانه ترك
والترك لا يعجز المعذور عنه واباح ترك الاعمال بالاعذار
لان العمل قد يعجز المعذور عنه وقال يحيى بن عبد الله
رحم الله امرا كان قويا فاعمل قوته في طاعة الله
او كان ضعيفا فكف عن معصية الله وقال عبد الاعلى
بن عبد الله الشامي
العمر ينقص والذنوب تزيد ويقال عثرة الفتى فيعود

هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي تقليلها وعن الممات يحيد
واعلم ان الاعمال الطاعات ومجانبة المعاصي افتين
احدهما تكسب الوزر والاخرى تنقص من الاجر فاما
المكسبة للوزر فالاعجاب بما اتى من عمله وقدم من
طاعته لان الاعجاب به يفضي الى حالين مذمومتين
احدهما ان المعجب بعمله ممتن به والممتن على الله جاحد
لنعمه قال ابن عباس رحمه الله عليه اوحى الله الى نبي
من انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد استعجلت به
الراحة واما انقطاعك الي فعززت بك وهذا لك
ونفسك انا والثانية ان المعجب بعمله مدل به والمدل
مجترئ والمجترئ على الله عاص وقد قال مورق العجلي
خير من المعجب بالطاعة ان لا ياتي بطاعة وقال

بعض السلف ضاحك معترف بذنبه خير من باكٍ
مدل على ربه وباكٍ نادم على ذنبه خير من ضاحك
معترف بلهوه واما المواهبة للاجر والثقة بما اسلف
والركون الى ما قدم لان الثقة تؤول الى امرين سيئين
احدهما انها تحدث اتكالا على ما مضى وتقصيرا
فيما يستقبل ومن قصر واتكل لم يرج اجرا ولم يؤد شكرا
والثاني ان الواثق امن والامن من الله غير خائف ومن
لم يخف الله هانت عليه اوامره وسهلت عليه
زواجره وقد قال الفضيل بن عياض رهبة المرء من الله
على قدر علمه بالله وقال مورق العجلي لان ابيت
نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما
واصبح معجبا وقالت الحكما ما بينك وبين ان لا يكون فيك
خير الا ان ترى ان فيك خيرا ۞ فقيل لرابعة

هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان
شي فخوفي من ان يرد علي عملي ۞ وقال ابن السماك
انا لله فيما مضى ما اعظم فيه الخطر وانا لله فيما بقي ما اقل
منه الحذر وحكي ان بعض الزهاد وقف على محنج
فنادى باعلى صوته يا معشر الاغنيا لكم اقول استكثروا
من الحسنات فان ذنوبكم كثيرة ويا معشر الفقرا لكم اقول
اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليلة ۞ فينبغي احسن
الله لك التوفيق ان لا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك
بالتقصير في طاعة ربك والثقة بسالف عملك
واجعل الاجتهاد غنيمة صحتك والعمل فرصة فراغك
فليس كل زمان مستعدا ولا ما فات مستدركا والفراغ
زيغ او ندم والخلوة ميل او اسف وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الراحة للرجال غفلة وللنسا غلمة ۞

وقال بزرجمهر ان تكن الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة
وقال بعض الحكما اياكم والخلوات فانها تفسد
المعقول وتعقد المحلول وقال بعض البلغا
لا تمض يومك في غير منفعة ولا تضع مالك في غير
صنيعة فالعمر اقصر من ان ينفد في غير المنافع والمال
اقل من ان يصرف في غير الصنايع والعاقل اجل من ان
يفني ايامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره وينفق
ماله فيما لا يحصل له ثوابه واجره وابلغ من ذلك
قول عيسى بن مريم عليه السلم المرء ثلثة المنطق
والنظر والصمت فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد
لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن
كان صمته في غير فكر فقد لها واعلم ان للانسان
فيما كلف من عباداته ثلثة احوال احدها ان

يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها والثانية
ان يقصر فيها والثالثة ان يزيد عليها فاما الحال الاولى
وهي ان ياتي بها على حال الكمال من غير تقصير فيها ولا
زيادة تطوع على راتبها فهي اوسط الاحوال واعدلها
لانه لم يكن منه تقصير فيذم ولا تكثر فيعجز وقد
روى سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا وبشروا
واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدلجة ٥

وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

واما الحال الثانية وهو ان يقصر فيها فالخلو حال تقصيره
من اربعة احوال احدها ان يكون تقصيره لعذر اعجزه
عنه او مرض اضعفه عن اداء ما كلف منه فهذا الخرج

عن حلم المقصرين ويلحق باحوال العاملين لاستقرار الشرع
على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء الحديث
عن النبي صلى الله عليه انه قال ما من عامل كان يعمل
عملا فقطعه عن ذلك العمل مرض الا وكل الله به من
يكتب له ثواب عمله والحال الثانية ان يكون تقصيره
اعتذارا بالمسامحة فيه ورجاء العفو عنه فهذا
مخدوع العقل مغرور بالجهل قد جعل الظن ذخرا
والرجاء عدة فهو كمن قطع سفرا بغير زاد ظنا
بانه سيجده في المفاوز المجدبة فيفضي به الظن
الى الهلكة فهلا كان الحذر اغلب عليه وقد ندب
الله تعالى اليه وحكي عن اسرائيل بن محمد
القاضي قال قلت لمجنون كان يكون في خرابات
فقال يا اسرائيل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء

فان الرجاء يشغلك عن الخوف وفر الى الله تعالى ولا تفر منه
وقيل لمحمد بن واسع لا اشتكي فقال لك جلسة الامين
وحكي ان ابا حازم الاعرج اخبر سليمان بن عبد الملك
بوعيد الله عز وجل للمذنبين فقال سليمان فاين رحمة الله
قال قريب من المحسنين وقال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول
الله صلى الله عليه مثل كتاب كتبه الى علي عليه السلم
اما بعد فان الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته
ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من
دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو
الاخرة بغير عمل ويوخر التوبة بطول الامل وكان قد
والسلم وقال محمود الوراق
اخاف على المحسن المتقي وارجو الذي لهفوات المسي

فذلك حق على محسن فكيف على الظالم المعتدي
على ان ذا الزيغ قد يستغني ويستانف الزيغ قلب التقي
والحال الثالثة ان يكون مقصرا فيه ليستدرك في ما اخر
به من بعد فيبدا بالسيئة في التقصير قبل الحسنة
في الاستيفاء اعتذارا بالامل في امهاله ورجا لتلافي
ما اسلف من تقصيره واخلاله فلا ينتهي به الامل الى
غاية ولا يفضي به الى نهاية لان الامل في ثاني حال
كهو في اول حال ٥ وقد روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال من يامل ان يعيش غدا فانه يامل ان يعيش
ابدا ولعمري ان هذا صحيح لان لكل يوم غدا
فاذن يفضي به الامل الى الفوت من غير درك
ويوديه الرجا الى الاهمال من غير تلاف فيصير الامل
خيبة والرجا ياسا وقد روى عمرو بن شعيب

عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول صلاح هذه الامة باليقين والزهد وفسادها
بالبخل والامل وقال الحسن البصري رضي الله عنه
ما اطال عبد الامل الا اسا العمل وقال رجل
لبعض الزهاد بالبصرة الك حاجة ببغداد قال ما احب
ان ابسط املي حتى تذهب الى بغداد وتجي ٥
وقال بعض الحكما الجاهل يعتمد على امله والعاقل
يعتمد على عمله ٥ وقال بعض البلغا الامل كالسراب
غر من راه وخاب من رجاه وقال محمد بن يزداد
دخلت على المامون وكان يومئذ وزيره فرايته قائما
وفي يده رقعة فقال يا محمد اقرات ما فيها
فقلت هي في يد امير المومنين قال فرمى بها
الي فاذا فيها مكتوب

انك في دار لها مهلة يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها يقطع منها امل الآمل
تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة ماذا بفعل الحازم العاقل
قال فلما قرأتها قال المأمون هذا من احكم شعر
قرأته وقال ابو حازم الاعرج نحن لا نريد ان نموت
حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت وقال
بعض البلغاء الامهال رائد الاهمال والحالة الرابعة
ان يكون تقصيره فيها استثقالا للاستيفاء وزهدا
في التمام واقتصارا على ما سنح وقلة اكتراث فما بقي
فهذا على ثلثة اضرب احدها ان يكون ما اخل به وقصر
فيه غير قادح في فرض ولا مانع من اجر فهو لمن
اقتصر من العبادة على فعل واجباتها ومفروضاتها

واخل بمسنوناتها وهيأتها فهذا مسئ فيما ترك اساءة من
لا يتقي وعيدا ولا يستوجب عقابا لان اداء
الواجب يسقط عنه العقاب واخلاله بالمسنون
يمنع من اكمال الثواب وقد قال بعض الحكماء من تهاون
بالدين هان ومن غالب الحق لان وقال الشاعر
ويصون ثوبه ويترك غير ذلك لا يصونه
واحق ما صان الفتى ورعى امانته ودينه
والضرب الثاني ان يكون ما اخل به من مفروض عباداته
لكن لا يقدح ترك ما بقي فيما مضى فهو لمن اكمل عبادة
واخل بغيرها فهذا اسوأ حالا مما تقدمه لما
استحقه من الوعيد واستوجبه من العقاب
والضرب الثالث ان يكون ما اخل به من مفروض
عباداته وهو قادح فيما عمل منها اذا العبادات التي يرتبط

بعضها ببعض فيكون المقصر في بعضها تاركا لجميعها
فلا تحتسب له بما عمل لاخلاله بما بقي وهذا اسوء
حالا للمقصرين لاحق باحوال التاركين بل قد تكلف
ما اسقط فرضا يودي حقا فهذا ساوى
التاركين في استحقاق الوعيد وزاد عليهم
في تكلف ما لا يفيد فصار من الاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وفي الاخره
ثم لعله لا يفطن لشانه ولا يشعر بخسرانه
وقد خسر الدنيا والاخره ويفطن لليسير من ماله
ان وهى واختل وانشدني بعض اهل العلم
اني رايت من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله فاذا يصاب بدينه لم يشعر
واما الحالة الثالثة وهو ان يزيد فيما كلف فهذا

على ثلثة اقسام احدها ان يكون الزيادة رياء للناظرين
وتصنعا للمخلوقين حتى يستعطف به القلوب
النافرة ويخدع به القلوب الواهية فيتبهرج
بالصلحا وليس منهم ويتدلس في الاخيار وهو
ضدهم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
للمرائي بعمله مثلا فقال المتشبع بما لا يملك
كلابس ثوبي زور يريد بالمتشبع بما لا يملك
المتزين بما ليس فيه وقوله كلابس ثوبي زور
الذي يلبس ثياب الصلحا ويفعل افعال الطلحا
فهو بريائه محروم الاجر مذموم الذكر لانه لا يقصد
به وجه الله تعالى فيوجر عليه ولا يخفى رياه
على الناس فيحمدونه وقد قال الله تعالى فمن كان يرجوا
لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

قال جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة
ربه احدا اى لا يرائى بعمله احدا لجعل الريا
شركا لانه جعل ما يقصد به وجه الله تعالى
مقصودا به غير الله وقال الحسن البصرى فى
قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال
لا تجهر بها ريا ولا تخافت بها حيا وكان
سفيان بن عيينة يتاول قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشا والمنكر والبغى ان العدل استوا السريرة
والعلانية فى العمل لله تعالى والاحسان ان تكون
سريرته خيرا من علانيته والفحشا والمنكر ان تكون علانيته
احسن من سريرته وكان عمر يقول العدل
شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الصبر على امره

ونهيه وطاعة الله فى سره وجهره وايتاء ذى القربى
صلة الارحام وينهى عن الفحشا يعنى الزنى والمنكر
القبائح والبغى الكبر والظلم وليس يخرج الريا
فى الاعمال من هذا التاويل ايضا لانه من جملة
القبائح وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اخوف ما اخاف على امتى الريا الظاهر
والشهوة الخفية وروى عن النبى صلى الله عليه انه
قال اشد الناس عذابا يوم القيمة من يرى
ان فيه خيرا ولا خير فيه وقال على عليه السلم
لا تعمل شيا من الخير ريا ولا تتركه حيا وقال
بعض البلغا كل حسنة لم ترد بها وجه الله تعالى
فعليها قبح الريا وثمرتها سوء الجزا وقد يفضى الريا بصاحبه
الى استهزا الناس به كما حكى ان طاهر بن الحسين

قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق
يا ابا عبد الله قال دخلت العراق منذ عشرين سنة
وانا منذ ثلثين سنة صايم فقال يا ابا عبد الله سالناك
عن مسلة فاجبتنا عن مسلتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا
صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلوته
فقال وانا مع ذلك صايم فانظر الى هذا الريا
مع قبحه ما دله على سخف عقل صاحبه وربما اساعد
الناس لظهور رياه على الاستهزا به كالذى
حكى ان زاهدا نظر الى رجل في وجهه سجادة كبيرة
واقفا على باب السلطان فقال له مثل هذا
الدرهم بين عينيك وانت هاهنا فقال انه ضرب
على غير السكة وهذا من اجوبة الخلاعة التى يدفع
بها تهجين المذمة ولقد استحسن الناس من الاشعث

بن قيس قوله وقد خفف صلوته جدا فقال له بعض
اهل المسجد خففت صلوتك جدا فقال انه لم تخالطها
ريا فخلص من تنقصهم وسلم من تعييبهم فنفى الريا عن
نفسه ودفع التصنع من صلوته وقد كان الانكار لولا
ذلك متوجها عليه واللوم لاحقا به ومر ابو امامة
ببعض المساجد فاذا برجل يصلي وهو يبكي فقال
انت انت لو كان هذا في بيتك فلم ير ذلك منه
حسنا لانه اتهمه بالريا ولعله كان بريا منه وكيف
من كان الريا اغلب صفاته واشهر سماته مع انه
انم من هبوب النسيم بما حمل ولذلك قال عبد الله
بن المبارك افضل الزهد اخفا الزهد وربما احس
ذو الفضل من نفسه ميلا الى المراياة فبعثه الفضل
على تنكب ما اثار عنه النفس في المراياة به وكان ذلك

ابلغ في فضله كالذي حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه احس على المنبر بريح خرجت منه فقال ايها الناس
اني مثلت بين ان اخافكم في الله تعالى وبين ان اخاف الله
تعالى فيكم فكان ان اخاف الله فيكم احب الي الا واني
قد فسوت وها انا ذا نازل لاعيد الوضوء
وكان ذلك منه زجرا لنفسه ليكف عن نزاعها
الى مثله وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب
القرظي عظني فقال لا ارضى نفسي لك لاني اجلس بين الفقير
والغني فاميل على الفقير واوسع للغني ولان طاعة
الله في العمل لوجهه لا للغير حكي ان قوما ارادوا
سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب فقالوا
قد ضللنا فكيف الطريق فقال ها هنا واومى
الى السماء ۞ والقسم الثاني ان يفعل الزيادة اقتداء بغيره

وهذا قد تثمره مجالسة الاخيار الافاضل ومخالطة
مكاثرة الاتقياء الاماثل ولذلك قال النبي صلى الله
عليه المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فاذا
كاثرهم المجالس وطاولهم المؤانس احب ان يقتدي
بهم في افعالهم ويتاسى بهم في اعمالهم ولا يرضى لنفسه ان
يقصر عنهم ولا ان يكون في الخير دونهم فتبعثه المنافسة
على مساواتهم وربما دعته الحمية الى الزيادة عليهم
والمكاثرة لهم فيصيرون سببا لسعادته وباعثا على استرشاد
والعرب تقول لولا الوئام هلك الانام اي لولا ان
الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم في الخير لهلكوا
ولذلك قال بعض البلغاء من خير الاختيار صحبة
الاخيار ومن شر الاختيار مودة الاشرار وهذا صحيح
لان للمصاحبة تاثيرا في اكتساب الاخلاق فتصلح اخلاق

المرء بصاحبه اهل الصلاح ويفسد بصاحبة اهل
الفساد وقال الشاعر
فقد رايت صلاح المرء يصلح اهله ويعديهم عند الفساد اذا
يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد
وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي
لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد اخر يفسد
عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد
والقسم الثالث ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا
لثوابها ورغبة في الزيادة بها وهذا من نتائج النفس الراغبة
ودواعي الرغبة الواثقة الدالتين على خلوص الدين
وصحة اليقين وذلك افضل احوال العاملين واعلى منازل
العابدين وقد قيل الناس في الخير اربعة منهم من يفعله
ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه استحسانا

ومنهم من يتركه حرمانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن
فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه استحسانا فهو رديء
ومن تركه حرمانا فهو شقي ثم لما يفعله من الزيادة
حالتان احديهما ان يكون مقتصدا فيها وقادرا على الدوام
عليها فهي افضل الحالتين واعلى المنزلتين عليها انقرض
اخيار السلف وتبعهم فيها افاضل الخلف وقد
روت عايشه رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
قال ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير العمل
ما ديم عليه والعرب تقول القصد والدوام
وانت السابق للجواد ولان من كان صحيح الرغبة
في ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا في طاعته
قال عبد الله بن المبارك قلت لراهب

متى عيدكم قال كل يوم لا اعصي الله فيه فهو عيد
انظر الى هذا القول منه وان لم يكن من مقاصد الطاعة
ما ابلغه في حب الطاعة واحثه على بذل الاستطاعة
وخرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة فقيل
له تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة
والناس يتزينون ما تزين لله بمثل طاعته
والحال الثانية ان يستكثر منها استكثارا من
لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها فهذا ربما
كان بالمقصر اشبه لان الاستكثار من الزيادة
اما ان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه
تطوع بزيادة احدث نقصا وتنفل منع فرضا واما
ان يعجز عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار
من غير اخلال بلازم ولا تقصير في فرض فهي اذا

قصير المدى قليلة اللبث وللقليل العمل في طويل
الزمان افضل عند الله من كثير العمل في قصير الزمان لان
المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك
زمانا فربما صار في زمان تركه لاهيا او ساهيا والمقلل
في الزمان الطويل مستيقظ الافكار مستديم التذكار
وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
انه قال ان للاسلام شرة وللشرة فترة فمن سدد
وقارب فارجوه ومن اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه
فجعل للاسلام شرة وهي الايغال في الاستكثار وجعل
للشرة فترة وهي الاهمال بعد الاستكثار فلم يخل عما اثبت
من يكون بهذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا خير في واحد
منهما واعلم جعلك الله العلم حاكما لك وعليك والحق
قائدا لك واليك ان الدنيا اذا وصلت تبعات موبقة

واذا فارقت فجعان بمحبه فليس لوصلها دوام ولا
من فراقها بد فروض نفسك على قطيعتها لتسلم من
تبعاتها وعلى فراقها لتامن فجعاتها فقد قيل المرء
مفترض من عمره المنقرض مع ان العمر وان طال
نصيب والفراغ وان تم يسير وانشدت لعلي
بن محمد

اذا كملت للمرء ستون حجة فلم يحظ من ستين الا بسدسها
الم تر ان النصف لليل حاصل وتذهب اوقات المقيل بخمسها
وتاخذ اوقات الهموم بحصة واوقات اوجاع يمنعن بمسها
فحاصل ما يبقى له سدس عمره اذا صدقته النفس عن علم حدسها

ورياضة نفسك لذلك تترتب على احوال ثلث وكل
حال منها تتشعب وهي تتسهل لمن يليها سبب فالحال
الاولى ان تصرف حب الدنيا عن قلبك فانها تلهيك عن اخرتك

ولا تجعل شغلك لها فيمنعك حظك منها وتوق الركون
اليها ولا تكن امنا منها فقد روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال من اشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها
التاط منها بشغل لا يبلغ عناه وامل لا يبلغ منتهاه
وحرص لا يدرك مداه وقال عيسى بن مريم عليه
السلم الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراث
وقال علي عليه السلم مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل
سمها فاعرض عما اعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ما
تكون لها انس ما تكون بها فان صاحبها كلما اطمان فيها
الى سرور اشخصه عنها مكروه وان سكن منها الى ايناس
ازاله عنها ايحاش وقال بعض البلغاء ان الدنيا
لا تصفو لشارب ولا تفي لصاحب ولا تخلوا من

نشبه والتخلي من محنة فاعرض عنها قبل ان تعرض عنك
واستبدل بها قبل ان تستبدل بك فان نعيمها ينتقل
واحوالها تتبدل ولذاتها تفنى وتبعاتها تبقى وقال
بعض الحكما انظر الى الدنيا نظر الزاهد المفارق ولا
تتاملها تامل العاشق الوامق وقال بعض الشعرا

الا انما الدنيا كاحلام نايم ... وما خير عيش لا يكون بدايم
تامل اذا ما نلت بالامس لذة ... فافنيتها هل انت الا كحالم
فمن غافل عنه وليس بغافل ... ومن نايم عنه وليس بنايم

روي عن النبي صلى الله عليه انه قال من هوان الدنيا على الله تعالى
ان لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروي سفيان
ان الخضر عليه السلم قال لموسى عليهما السلم يا موسى اعرض
عن الدنيا وانبذها وراك فانها ليست لك بدار ولا فيها
محل قرار وانما جعلت الدنيا للعباد ليتزودوا

منها للمعاد وقال علي عليه السلم الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال علي عليه السلم يصف الدنيا
اولها عنا وآخرها فنا حلالها حساب وحرامها
عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى
فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته
ومن قعد عنها اتته ومن نظر اليها اعمته ومن نظر
بها بصرته وقال بعض البلغا ان الدنيا تقبل اقبال
الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول
وتفارق فراق العجول خيرها يسير وعيشها قصير
واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية
وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة
الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك
لغدك وقال وهب بن منبه مثل الدنيا والاخرة

تمثل ضرتان إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وقال
عبد الحميد الدنيا منازل فراحل ونازل وقال
بعض الحكما الدنيا إما نقمة نازلة وإما نعمة زايلة
وقيل في منثور الحكم من الدنيا على الدنيا دليل

وقال بعض الشعرا

تمتع من الايام إن كنت حازما فإنك منها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فات من شي فليس بضاير
فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن زف من جناح لطاير
فما رضي الدنيا ثوابا لمؤمن ولا رضي الدنيا جزا لكافر

روي عن النبي صلى الله عليه أنه قال الدنيا يومان
يوم فرح ويوم هم وكلاهما زايل عنك فدعوا ما
يزول واتعبوا أنفسكم في العمل لما لا يزول وقال
عيسى بن مريم لا تنازعوا أهل الدنيا في دنياهم

فينازعوكم في دينكم فلا دنياهم أصبتم ولا على دينكم
أبقيتم وقال علي عليه السلم لا تكن في الدنيا
ممن يقول بقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين إن
أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما
أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا
يأتي يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض
الطالحين وهو منهم وقال الحسن البصري
الدنيا كلها غم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال
بعض البلغا إن الدنيا تسرع الغير سريعة النكر
شديدة المكر دايمة الغدر فاقطع أسباب الهوى
عن قلبك واجعل أبعد أملك بقية يومك وكن
كأنك ترى ثواب عملك وقال بعض الحكما
الدنيا إما مصيبة موجعة وإما منية مفجعة

وقال بعض الشعراء

خل دنيا فانها تعقب الخير شرها هي ام تعق من تسليها من

كل نفس فانها تبتغي ما يضرها والمنايا بانسوفها والاماني تغرها

ماذا استحلت الجنا اعقب الحلو مرها ببشنوي في ضريحه عبد ارض

ماذا رضيت نفسك من هذه الحال او صفت اعضض

منها ملت خلال احل من ان تكفي اشفاق المحب وحذر

الوامق فليس لمشفق ثقة ولا لحاذر راحة والثانية ان

تامن الاعترار بملاهيها وتسلم من عادية دواهيها فان

اللاهي بها مغرور والمغرور فيها مدهوش والثالثة

ان تستريح من تعب السعي لها ووصب الكد فيها فان من

احب شيئا طلبه ومن طلب شيئا كده والمكدود

فيها شقي ان ظفر ومحروم ان خاب وقد روي عن النبي

صلى الله عليه انه قال لكعب يا كعب الناس غاديان

فعاد بنفسه فمعتقها ومؤبق نفسه فموبقها وقال

عيسى بن مريم عليه السلم تعملون للدنيا وانتم ترزقون

فيها بغير عمل ولا تعملون للاخرة وانتم لا ترزقون فيها الا

بعمل وقال بعض البلغاء من ذكر الدنيا

ان لا تبقى على حالة ولا تخلو من استحالة تصلح جانبا

بافساد جانب وتسر جانبا بمساءة صاحب فالكون

فيها خطر والثقة بها غرر وقال بعض الحكما

الدنيا من تحفة الهبة والدهر حسود لا يأتي على شيء

الا غيره ولمن عاش حاجة لا تنقضي ومالبلغ مروك

من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه ينبذها وقال

هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عدم

وملك لولا انه هلك وغنا لولا انه فنا وجسيم لولا

انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وغنا لولا انه

منّا وارتفاع لولا انّه اتضاع وعلاً لولا انّه بلاً وحسن
لولا انّه حزن وهو يومٌ لو وثق له بغدٍ ه وقال
بعض الحكما قد ملك الدنيا غير واحدٍ من راغبٍ وزاهدٍ
فلا الراغب فيها استبقت ولا الزاهد فيها كفت
وقال ابو العتاهيه
هي الدار دار الاذى والقذى ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها لمتّ ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الخلود وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انّه قال اللهم اني اعوذ
بك من علمٍ لا ينفع ونفسٍ لا تشبع وقلبٍ لا يخشع
وعينٍ لا تدمع هل يتوقع احدكم الا غنىً مطغيا او
فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او

الدجّال فهو شرّ غائبٍ او السّاعة فالسّاعة ادهى
وامرّ وحكى انّ الله تعالى اوحى الى عيسى بن مريم
ان هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع
ومن عينك الدموع وادعني فاني قريبٌ مجيب
وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى الله تعالى
الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه
وقال بعض البلغاء ادن من طول الملك في قصر عملك
فانّ الدنيا ظل الغمام وحلم النيام فمن عرفها ثم طلبها
فقد اخطأ الطريق وحرم التوفيق وقال
بعض الحكما لا يؤمنك اقبال الدنيا عليك من ادبارها
عنك ولا دولة لك من ادالة منك ه وقال آخر
ما مضى من الدنيا كما لم يكن وما بقي منها كما قد مضى
قيل للزاهد قد طلقت الدنيا فكيف سخت نفسك

وقال

عنها أيقنت أني أخرج منها كارها فرأيت أن أدعها طائعا
وقيل لحرقة بنت النعمان ما لك تبكين فقالت رأيت لأهلي
غضارة ولن تملى دار فرحا إلا امتلأت ترحا وقال
ابن السماك من جرت عليه الدنيا حلاوتها بميله إليها
جرت عليه الآخرة مرارتها لتجافيه عنها وقال
صاحب كليلة طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد
شربا ازداد عطشا وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل دائما

بهذه الأبيات

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والأسى لك لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا أراك الله مكروها
فقال كأنك دعوت على صاحبك بالموت إن صاحبك

ما صاحب الدنيا فلا بد أن يرى مكروها

وقال أبو العتاهية

إن الزمان وإن ألان لأهله لمخاشن
تخطوا به المتحركات كأنهن سواكن

ثم إن الحال الثانية من أحوال دنياك أنك لها أن لا تصدق
نفسك فيما تمنحك من رغائبها وأن ما أتتك من رغائبها
فتعلم أن العطية فيها مرتجعة والمنحة فيها مستردة
بعد أن تبقي عليك ما اجتنيت من أوزار وصولها
إليك وحسن أن تخرجها عنك فقد روي
عن النبي صلى الله عليه أنه قال لا تزول قدما
ابن آدم حتى يسأل عن ثلث شبابه فيم أبلاه
وعمره فيم أفناه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروي
عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال في الطالب ثلث خصال

قالوا وما هن يا روح الله قال يكسبه من غير حله
قالوا فان نكسبه من حله قال يضعه في غير حقه
قالوا فان وضعه في حقه قال يشغله عن عبادة
ربه ٥ ودخل ابو حازم على بشر بن مروان فقال له يا ابا حازم
ما المخرج مما نحن فيه قال تنظر ما عندك فلا
تضعه الا في حقه وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه
قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم فقال فمن اجل
ذلك مليت جهنم من الجنة والناس اجمعين ٥ وعيرت
اليهود عيسى بن مريم عليه السلم بالفقر فقال من الغنى
دهيتم ٥ ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا
يقعدون عليه فقال لهم لو كانت دار مقام
لاتخذنا لها اثاثا ٥ وقيل لبعض الزهاد الا
توصي قال بم اوصي والله ما لنا شيء ولا لنا

ولا احد عند ناشي

عند احد شيء انظر الى هذه الراحة كيف تعجلها والى
السلامة كيف صار اليها ولذلك قيل الفقر
ملك ليس فيه محاسبة وقيل لعيسى بن مريم عليه السلم
الا تتزوج فقال انما يحب التكاثر في دار البقا
وقيل له لو دعوت الله ان يرزقك حمارا انا اكرم
على الله من ان يجعلني خادم حمار ٥ وقيل لابي حازم
ما مالك قال شيئان الرضا عن الله والغنى عن الناس
وقيل له انك لمسكين قال كيف اكون مسكينا ومولاي
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وقال بعض الحكما رب مغبوط بنعمة هي داؤه
ومرحوم من سقم هو شفاؤه ٥ وقال بعض الادبا
الناس اشتات ولكل جمع شتات وقال بعض
البلغا الزهد بصحة اليقين وصحة اليقين بنور الدين

فمن صح يقينه زهد في الثراء ومن قوي دينه
ايقن بالجزاء فلا تغرنك صحة نفسك وسلامة امسك
فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة

وقال بعض الشعراء

رب مغروس يعاش به عدمته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه اقرب الاشياء من عرسه

فاذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت
منها ثلاث خصال احدهن نصح نفسك وقد استسلمت
اليك والنظر لها وقد اعتمدت عليك فان غاش
نفسه الا في ضعف العقل ومغبون والمنحرف عنها
مأفون والثانية الزهد فيما ليس لك لتكفى تكلف
طلبه وتسلم من تبعات كسبه ه والثالثة انتهاز
الفرصة فيما لك ان تضعه في حقه وان تؤتيه
لمستحقه ليكون لك ذخرا ولا يكون عليك وزرا فقد
روي ان رجلا قال يا رسول الله اني لا احب الموت
قال الك مال قال نعم قال قدم مالك فان
قلب المرء عند ماله وقالت عائشة رضي الله
عنها انه ذبحنا شاة فتصدقنا بها فقلت يا رسول
الله ما بقي الا كتفها فقال كلها بقي الا كتفها وحكي
ان عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود باع
دارا بثمانين الف درهم فقيل له اعتقد لولدك من هذا
المال ذخرا فقال انا اجعل هذا المال ذخرا
لي عند الله واجعل الله ذخرا لولدي وتصدق بها
وعوتب سهل بن عبد الله المروزي في كثرة الصدقة
فقال لو ان رجلا اراد ان ينتقل من دار الى دار
هل كان يبقي في الاولى شيئا ه وقال سلمان بن عبد

الملك لابي حازم ما بالنا نكره الموت قال لانكم اخربتم
اخرتكم وعمرتم دنياكم وكرهتم ان تنتقلوا من العمران
الى الخراب وقيل لعبد الله بن عمر ترك زيد بن خارجة
مائة الف درهم قال لكنها لا تتركه وقال الحسن
البصري ما انعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعة
الا سليمان فان الله تعالى قال هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب وقال ابو حازم ان عوفينا
من شر ما اعطينا لم يضرنا ما فقدنا ما زوى عنا وقال
بعض السلف قدموا اكلا ليكون لكم ولا تخلفوا اكلا
فيكون عليكم وقال ابرهيم نعم القوم السؤال
يدقون ابوابكم يقولون تتوجهون الى الاخرة
شيئا وقال سعيد بن المسيب مر بي
صلة بن اشيم فما تمالكت ان نهضت اليه فقلت له

يا ابا الصهباء ادع لي فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك
فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس
الا اليه ولا يعول في الدين الا عليه ولما ثقل عبد
الملك بن مروان راى غسالا يلوي بيده ثوبا فقال
وددت اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما
فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي
جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عنده
ما هم فيه وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال
يقول ابن ادم مالي مالي ما لك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت او اعطيت فامضيت وقال
خالد بن صفوان بت ليلتي امني نفسي فكسبت البحر الاخضر
بالذهب الاحمر فاذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان
وكوزان وطمران وقال مورق العجلي

يا ابن آدم في كل يوم تؤتى رزقك وانت تحزن وينقص
عمرك وانت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك
ما يكفيك وقال ابو حازم انما بيني وبين الملوك
يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا وهم من
غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون وقال
بعض السلف تعز عن الشي اذا منعته لقلة ما يصحبك
اذا اعطيته وقال بعض الحكما من ترك نصيبه
من الدنيا استوفى حظه من الاخرة وقال آخر ترك
التلبس بالدنيا قبل التشبث بها اهون من رفضها
بعد ملابستها وقال آخر ليكن طلبك الدنيا
اضطرارا وفكرتك في الامور اعتبارا وسعيك للمعاد
ابتدارا وقال آخر الزاهد من لا يطلب المفقود
حتى يفقد الموجود وقال آخر من امن بالآخرة فلا يحرص

على الدنيا ولا يحرص عليها ومن ايقن بالمجازاة لم يؤثر
على الحسنى ه وقال آخر من حاسب نفسه ربح
ومن غفل عنها خسر وقال ابو العتاهية

ارى الدنيا لمن هي في يديه عذابا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شي فدعه وخذ ما انت محتاج اليه

وحكي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد رحمه
الله عليه يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل
على خديه فلما بصر بي قال ارأيت ما كان مني فقلت
نعم يا امير المؤمنين قال اما انه لو كان لامر الدنيا ما رأيت
هذا ثم رمى بالقرطاس فاذا فيه شعر ابي العتاهية

هل انت معتبر بمن خربت منه غداة قضى دساكره
وبمن اذل الدهر مصرعه فتبرأت منه عساكره

ومن خلت منه اسرته وتعطلت منه منابره
درست محاسن وجهه ونفى عنه السرور بشائره
ابن الملوك وابن غيرهم صاروا مصيرا انت صائره
يا مؤثر الدنيا للذته والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك ان تنال من الدنيا فان الموت اخره
فقال الرشيد والله لكانى المطالب
بهذا الشعر دون الناس فلم يلبث بعد الايسير حتى
مات ثم الحال الثانيه من احوال ربما يتنبه
لها ان يكشف حال الحلك وتضل فيها عن عزو املك
حتى لا يطيل لك الامل اجلا قصيرا ولا ينسيك موتا
ولا نشورا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
فى بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى والامل يقوى
والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل

والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد
ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما الهى عن
الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات وقال
كم من مستقبل يوما وليس بمستكمله ومنتظر
غدا وليس من اجله ولو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم
الامل وغروره وقال رجل من الانصار للنبى
صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس قال اكثرهم ذكرا
للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا
بشرف الدنيا وكرامة الاخرة وقال عيسى
بن مريم عليه السلم ايها الناس اتقوا الله الذى ان تقولوا
سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان
هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وقال العلا
بن المسيب ليس يقتل الموت شى الا الموت اشد

[illegible]

منه وليس بعد الموت شي الا الموت اشر منه ٥
وقال بعض الحكما ان للباقي بالماضي معتبرا
وللاخر بالاول مزدجرا والسعيد لا يركن
الى الخدع ولا يغتر بالطمع وقال بعض الصلحا
ان بقاك الى فنا وان فناك الى بقا فخذ من فناك
الذي لا يبقى لبقاك الذي لا يفنى وقال بعض
العلما اي عيش يطيب وليس للموت طبيب وقال
بعض البلغا كل امرئ يجري من عمره الى غاية تنتهي اليها
مدة اجله وتنطوي عليها صحيفة عمله فخذ
من نفسك لنفسك وقس يومك بامسك وكف
عن سيئاتك وزد في حسناتك قبل ان تستوفي
مدة الاجل وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل
وقيل في منثور الحكم من لم يتعرض للنوائب تعرضت

له وقال ابو العتاهية
ما للمقابر لا تجيب اذا دعاهن الكئيب
حفر مسقفة عليهن الجنادل والكثيب
فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب
كم من حبيب لم تكن نفسي بفرقته تطيب
غادرته في بعضهن مجدلا وهو الحبيب
وسلوت عنه وانما عهدي به قريب
وعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال اقلل من
الدنيا تعش حرا واقلل من الذنوب يهن عليك الموت
وانظر في اي نصاب تضع ولدك فان العرق دساس
وقال الرشيد رضي الله عنه لابن
السماك عظني واوجز فقال اعلم انك اول خليفة يموت
وعزى اعرابي رجلا عن ابن له صغير فقال الحمد لله

الذي نجاه مما هاهنا من الكدر وخلصه مما بين يديه
من الخطر وقال بعض السلف من عمل
للاخرة احرزها والدنيا ومن اثر الدنيا حرمها
والاخرة وقال بعض الصلحا اشتغل
بنفس الاجل وامكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل
فانك في اجل محدود ونفس معدود وعمر غير
ممدود وقال بعض الحكما الطبيب معذور
اذا لم يدفع المحذور وقال بعض البلغا اعمل
عمل المرتحل فان حادي الموت يحدوك ليوم
ليس يعدوك وروى عن علي عليه السلم انه قال
بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
غرّ جهولا امله يموت من جا اجله
ومن دنا من حتفه لم تغن عنه حيله

وما بقا الاخر قد غاب عنه اوله
والمرء لا يصحبه في القبر الا عمله
وقال ابو العتاهيه
لا تامن الموت في لحظ ولا نفس وان تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بان سهام الموت قاصدة لكل مدرع فيها ومترس
ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
فاذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتصمت
منها بثلث خصال احدهن ان تكفى تسويف امل يرديك
وتسويل محال يوذيك فان تسويف الامل غرار
وتسويل المحال اضرار والثانيه ان تستيقظ
لعمل اخرتك وتغتنم بقية اجلك بخير عملك
فان من قصر امله واستقبل اجله حسن عمله والثالثه
ان يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ويسهل عليك

طول ما ليس الى دفعه سبيل فان من حقق امرا
توطأ لحلوله وهان عليه عند نزوله روى
عن النبي صلى الله عليه انه قال لابي ذر نبه
بالتقلل قلبك وجاف عن النوم جنبك واتق الله
ربك وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لابي ذر عظني قال ارض بالقوت وخف
الفوت واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت
وقال عمر بن عبد العزيز ما رايت يقينا لا شك فيه
اشبه بشك لا يقين فيه من يقين نحن فيه فان كنا
مقرين فانا لحمقى وان كنا جاحدين انا لهلكى ٥
وقال الحسن البصري نهارك ضيفك فاحسن
اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل بحمدك وان
اسات اليه ارتحل بذمك وكذلك ليلك نهارك

الجاحظ في كتاب البيان وجد مكتوبا في حجر
ابن آدم انك لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت
في طويل ما ترجوا من املك ولرغبت في الزيادة من
عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما
يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك
واسلمك اهلك وحشمك وتبرأ منك القريب
وانصرف عنك الحبيب ٥ ولما حضر بشر بن منصور
الموت فرح فقيل له اتفرح بالموت فقال
اتجعلون قدومي على خالق ارجوه كمقامي مع
مخلوق اخافه ٥ وقيل لابي بكر الصديق رضي الله
عنه في مرضه الذي مات فيه لو ارسلت
الى الطبيب فقال قد راني قالوا فما قال لك قال
اني فعال لما اريد وقيل للربيع بن خثيم وقد

اعتلّ ندعو لك بالطبيب فقال اردت ذلك فذكرت
علاجا ومودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا وعلمت انه كان فيهم المداوي فهلكوا جميعا وسئل
انوشروان متى يكون عيش الدنيا الذ فقال اذا كان الذي
ينبغي ان يعمله في حيوته معمولا وقال بعض
الحكما من ذكر المنية نسي الامنية وقال بعض الادبا
عن الموت تسئل منه كربة تسئل وقال بعض
البلغا الامل حجاب الاجل وانشد بعض اهل الادب
ما ذكر انه لعلي بن ابي طالب عليه السلم
ولو كنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا فنسئل بعدها عن كل شي
وقال بعض الشعرا
الا انما الدنيا مقيل لراكب قضى وطرا في منزل ثم هجرا

فراح ومن ندم على ما قدمه الا كل ما قدمت تلقى موفرا
روى سعيد بن مسعود ان ابا الدردا قال يا رسول
الله اوصني فقال النبي صلى الله عليه اكسب طيبا
واعمل صالحا واسئل الله تعالى رزق يوم بيوم واعدد
نفسك من الموتى وكتب الربيع بن خثيم الى اخ
له قدم جهازك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك والسلم
وقال بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها
واصابت الدنيا من امنها ومر محمد بن واسع بقوم
فقيل هولاء قوم زهاد فقال وما قدر الدنيا حتى
يحمد من زهد فيها وقال بعض الحكما السعيد
من اعتبر بامسه واستظهر لنفسه والشقي من جمع
لغيره وبخل على نفسه وقال بعض البلغا لا تبت
عن غير وصية فان كنت من جسمك في صحة ومن عمرك

في صحته فان الله غايب وكل ما هو كاين كاين وقال بعض الشعرا
من كان يعلم ان الموت مدركه والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه يوم القيامة او نار ستنضجه
فكل شي سوى التقوى به سمج وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا لم يدر ان المنايا سوف تزعجه
روى جعفر بن محمد عن علي عن جابر بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه انه قال في بعض خطبه ايها الناس
ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم معالم
فانتهوا الى معالمكم فان المومن بين مخافتين اجل قد مضى
لا يدري ما الله تعالى صانع فيه واجل قد بقي
لا يدري ما الله تعالى قاض فيه فليتزود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن
الحيوة قبل الموت فان الدنيا خلقت لكم وانتم

خلقتم للاخرة فو الذي نفس محمد بيده ما بعد
الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة
او النار وقال الحسن البصري امس
اجل واليوم عمل وغدا امل فاخذ ابو العتاهية هذا
المعنى فنظمه شعرا فقال
ليس فيما مضى ولا في الذي لم يات من لذة لمستحليها
انما انت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي انت فيها
قنع النفس بالكفاف والا طلبت منك فوق ما يكفيها
وقيل لزاهد ما بالك تمشي على عصى ولست بكبير
ولا مريض قال اني اعلم اني مسافر وانها دار
بلغة وان العصى آلة السفر فاخذه بعض الشعرا فقال
حملت العصى لا الضعف اوجب حملها علي ولا اني تحنيت من كبر
ولكنني الزمت نفسي حملها لاعلمها ان المقيم على سفر

وقال بعض المتصوفة الدنيا ساعة فاجعلها
طاعة وقال ذو القرنين نعنا في الدنيا جاهلين وعشنا
فيها غافلين واخرجنا منها كارهين وقال عبد الحميد
المرا اسير عمر يسير وقيل في بعض المواعظ عجبت
لمن خاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي
وعجبت لمن يرجوا الثواب كيف لا يعمل وقال
بعض الحكما المسي ميت وان كان في دار الحيوة
والمحسن حي وان كان في دار الاموات وكل بالانسان
يومه او غده وقال بعض السلف الله
المستعان على السنة تصف وقلوب تعرف
واعمال تخالف وقال اخر ان الليل والنهار يعملان
فيك فاعمل فيهما وقال اخر اعملوا لاخرتكم
من هذه الايام التي تسير كانما تطير وقال اخر

الموت فصار اكل فخذ من دنياك لاخرتك وقال
اخر عباد الله الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه
قد غفر ولقد امهل حتى كانه قد اهمل
وقال اخر الايام صحايف اعمالكم فخلدوها
اجمل اعمالكم وقيل في منشور الحلم اقبل نصح الشيب
وان عجل وقالوا ما طلعت شمس الا وعظت بامس
وقال محمد بن بشير
مضى امسك الادنى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساة فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد لعل غدا ياتي وانت فقيد
روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال ما رايت
مثل الجنة نام طالبها ولا رايت مثل النار نام
هاربها وقال عيسى بن مريم عليه السلم

ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى
ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها
فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها
ما علموا انه سيتركهم ه وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب
يطلب الدنيا فارفضوها في نحره فانه ربما ادرك
الذي يطلب منها فهلك بما اصاب منها وطالب
يطلب الآخرة فاذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه
ودخل ابو الدرداء الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا
قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم
تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا
قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح

املهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا ه وقال
ابو حازم ان للدنيا اغترت اقواما فعملوا فيها بغير
الحق فلما جاءهم الموت خلفوا اموالهم لمن لا يحمدهم
وصاروا الى من لا يعذرهم وقد خلفنا بعدهم
فينبغي لنا ان ننظر الذي كرهناه منهم فنتجنبه والذي
غبطناهم به فنستعمله ه ومر بعض الزهاد
بباب ملك فقال باب حديد وموت عتيد
ونزع شديد وسفر بعيد ه ومر بعض الزهاد
برجل قد اجتمع عليه الناس فقالوا هذا
مسكين سرق منه رجل جبة ومر به اخ
فاعطاه جبة فقال الحمد لله ان شغلكم الشتى
وقال بعض الحكماء ما انصف من نفسه من ايقن
بالحشر والحساب وزهد في الاجر والثواب

وقال آخر طول الامل يقسوا القلوب
واخلاص النية يغسل الذنوب وقال آخر اياك
والمنى فانها من بضايع النوكى وتثبط عن الآخرة
والاولى وقال آخر قصر املك فان العمر قصير
واحسن سيرتك فالبر يسير وقال

عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبى فكيف به والشيب في الراس نازل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك ايام وهن قلايل
وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين وهما
فاعمل على مهل فانك ميت واكدح لنفسك ايها الانسان
فكان ما قد كان لم يك اذ مضى وكان ما هو كاين قد كانا

ونظر سليمان بن عبد الملك يوما وجهه في المرآة
فقال انا الملك الشاب فقالت له جارية
انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب كان في الناس غير انك فان
روى عبد العزيز بن عبد الصمد عن ابان عن انس
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه يوما
وهو على ناقته الجدعاء فقال ايها الناس
كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها
على غيرنا وجب وكان الذين نشيع من الاموات
سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم
وناكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل
واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه
عن عيوب الناس وانفق من مال كسبه من غير

معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل
الفقه والحكمة طوبى لمن اذل نفسه وحسنت
خليقته وصلحت سريرته طوبى لمن عمل بعلمه وانفق
من فضل ماله وامسك من قوله ووسعته السنة
ولم تعدها الى بدعة ه روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال زوروا القبور تذكركم الاخرة
وغسلوا الموتى فانها معالجة الاجساد
الخاوية وحفر الربيع بن خثيم في داره قبرا
وكان اذا وجد في قلبه قسوة جا فاضطجع في
القبر فمكث فيه ما شا الله ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على نفسه
فيقول قد رجعتك فجد فمكث ما شا الله
على ذلك وقال ابو محرز الطفاوي كفتك القبور

مواعظ والامم السالفة معتبر اه وقيل لبعض
الزهاد ما ابلغ العظات فقال النظر الى محلة
الاموات فاخذه ابو العتاهية فقال
وعظتك اجداث صمت ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سبتت
واراتك قبرك في الحيوة وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ان المنية لم تفت
فلربما انقلب الشمات فحل بالقوم الشمت
ووجد على قبر مكتوبا قبرنا من قدرنا ظهرنا للناظرين
عبرة وعلى اخر من امل البقا وقد راى مصارعنا
فهو مغرور ه وقيل في منثور الحكم ما اكثر
من يعرف الحق ولا يطيعه وقال بعض الحكما
من لم يمت لم يفت وقال بعض الصلحا

لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله وقال
بعض العلماء من لم يتعظ بموت ولده لم يتعظ بقول احد
وقال بعض البلغاء ما انقضت ساعة
من امسك الا ببضعة من نفسك فاخذه ابو العتاهية
ان مع الدهر فاعلمن غدا فانظر بما ينقضي مجي غده
ما ارتد طرف امرء بلذته الا وشيء يموت من جسده
ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء كان
الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ
منه امس فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال
كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا
وقال بعض الحكماء لو دان للخطايا ريح لا فتضح
الناس ولم يتحابوا سوا فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية

والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون
ربهم ويخافون سوء الحساب قال المفسرون
هي الرحم التي امر الله بوصلها ويخشون ربهم في قطعها
ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها
فقد روى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله
صلى الله عليه قال يقول الله عز وجل انا الرحمن
وهي الرحم اشتققت لها من اسمي من وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وروي عنه صلى الله عليه انه
قال صلة الرحم منماة للعدد مثراة
للمال محبة في الاهل منساة في الاجل وقال
بعض الحكماء صلوا ارحامكم بالحقوق والجفوها بالعقوق
وقال بعض البلغاء صلوا ارحامكم
فانه لا تبلى عليها اصولكم ولا تهتضم عليها فروعكم

وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله لم
يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك
وقال بعض الفصحاء من وصل رحمه وصله
الله ورحمه ومن اجار جاره اعانه الله واجاره
وقال محمد بن عبد الله الازدي
وحسبك من ذل وسوء صنيعة مناواة ذي القربى وان قيل قاطع
ولكن اواسيه وانسى ذنوبه لترجعه يوما علي الرواجع
وقال عبد الله بن الزبير
ولا تستوي في الحكم عبدان واصل وعبد لارحام القرابه قاطع
واما المصاهرة وهي الثالثة من اسباب الالفة فلانها استحداث
مواصلة وتمازج مناسبة صدرا عن رغبة
واختيار وانعقدا عن خيرة واثار واجتمع فيها
اسباب الالفة ومواد المظاهرة قال الله تعالى

ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعني بالمودة المحبة
وبالرحمة الحنو والشفقة وهما من اوكد اسباب الالفة
وفيهما تاويل اخر قاله الحسن البصري ان المودة
النكاح والرحمة الولد وقال تعالى والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة واختلف المفسرون في الحفدة
فقال عبد الله بن مسعود هم اختان الرجل
على بناته وقال عبد الله بن عباس هم ولد
الرجل وولد ولده وحكي انهم بنو امراة الرجل من
غيره وسموا حفدة لتحففهم في الخدمة وسرعتهم
في العمل ومنه قولهم في القنوت واليك نسعى
ونحفد اي نسرع الى العمل بطاعتك ولم تزل

العرب تجتذب البعدا وتتالف الاعدا بالمصاهرة
حتى يرجع النافر موانسا ويصير العدو مواليا
بل يصير للصهر بين الاجنبين الفة بين القبيلتين وموالاة
بين العشيرتين حكي عن خالد بن يزيد بن معوية
انه قال كان ابغض خلق الله الي ال الزبير
حتى تزوجت فيهم رملة فصاروا احب خلق الله
الي وفيها يقول

احب بني العوام طرا لاجلها ومن اجلها احببت اخوالها كلبا
فان تسلمي نسلم وان تتنصري يخط رجال بين اعينهم صلبا

ولذلك قيل المرء على دين زوجته لما يستنزله الميل اليها
من المتابعة ويجتذبه الحب لها من الموافقة فلا يجد
الى المخالفة سبيلا ولا الى المباينة والمشاقة
طريقا واذا كانت المصاهرة للنكاح بهذه المنزلة

آن

من الالفة فقد ينبغي بعقدها احد خمسة اوجه
وهي المال والجمال والدين والالفة والعفة
وقد روى سعيد بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المراة
لاربع لمالها وجمالها وحسبها ولدينها فعليك
بذات الدين تربت يداك فان كان عقد النكاح
لاجل المال وكان اقوى الدواعي اليه فالمال اذا
هو المنكوح فان اقترن بذلك احد الاسباب الباعثة
على الائتلاف جاز ان يثبت العقد وتدوم الالفة
وان تجرد عن غيره من الاسباب وعري عما سواه
من المواد فاخلق بالعقد ان ينحل وبالالفة ان تزول
لا سيما اذا غلب الطمع وقل الوفا لان المال ان وصل
اليه فقد فقد سبب الالفة به وقد قيل

من ودّك لشيء ولّى مع انقضائه وان اعوز الوصول اليه
وتعذّرت القدرة عليه اعقب ذلك استهانة الانس
بعد شدة الامل فحدثت منه عداوة الخائب بعد استحكام
الطمع فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة وقد قيل
من ودّك طمعاً فيك ابغضك اذا ايس منك وقال عبد
الحميد من عظّمك لاستقلالك استثقلك عند اقلالك
وان كان العقد رغبة في الجمال فذلك ادوم للالفة من المال
لان الجمال صفة لازمة والمال صفة زائلة ولذلك
قيل حسن الصورة اول السعادة وقد روي عن النبي صلى الله عليه
انه قال اعظم النساء بركة احسنهن وجها واقلهن
مهرا فان سلمت الحال من الادلال المفضي الى الملل استدامت
الالفة واستحكمت الوصلة وقد كانوا يكرهون الجمال
البارع فاما لما يحدث من سنة الادلال وقد قيل من

بسطه الادلال قبضه الاذلال واما لما يخاف عليه من
محن الرغبة وبلوى المنازعة فقد حكي ان رجلا
شاور رجلا في التزويج فقال له افعل واياك والجمال
البارع فانه مرعى انيق فقال الرجل فكيف
ذلك قال كما قال الاول (منتجع / نجع)
ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا الا وجدت به اثار ماكول
واما لما يخافه اللبيب من سنة الصبوة وتتوقاه الحازم
من عواقب الفتنة فقد قال بعض الحكماء اياك
ومخالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ولفظها سم
ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امرأة فقال يا
صياد احذر ان تصاد وقال سليمن بن داود
عليهما السلم لابنه امش وراء الاسد ولا تمش وراء المرأة
وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تقول

ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكم نشتهي شم الرياحين
فقال عمر رضي الله عنه
ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العقود
حالا واداما الفة واحمدها بدءا وعاقبة لان طالب
الدين متبع له ومن اتبع الدين انقاد له فاستقامت حاله
وامن زلله ولذلك قال النبي صلى الله عليه فاظفر
بذات الدين تربت يداك وفيه تاويلان احدهما تربت
يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة تذكر
للمبالغة ولا يراد بها سوء لقولهم ما اشجعه قاتله الله
وان كان العقد رغبة في الالفة فهذا قد يكون
على احد وجهين اما ان يقصد به المكاثرة باجتماع
الفريقين والمظافرة بتناصر الفئتين واما ان يقصد به

بتالف اعداء متنافرين اسكنها فالعادة وتسكينا
لصولتهم وهذان الوجهان من يكونان في الاماثل واهل المنازل
وداعي الوجه الاول هو الرغبة وداعي الوجه الثاني
هو الرهبة وهما سببان في غير المناكحين وان
استدام السبب دامت الالفة وان زال السبب
بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال الالفة الا ان
ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها
والمقوية لها وان كان العقد رغبة في التعفف
فهو الوجه الحقيقي المبتغى بعقد النكاح وما سواه
باسباب متعلقة عليه او مضافة اليه ه
روي انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
قال النبي صلى الله عليه خلق الرجل من التراب

نهمهم في التراب وخلقت المراة من الرجل فهمها في الرجل
وروى عطية بن بسر عن عكاف بن وداعة الهلالي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف الك زوجة
قال لا قال فانت اذن من اخوان الشياطين
ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت
منا فمن سنتنا النكاح وكان هذا القول منه حثا
على التعفف عن الفساد وباعثا على طلب الجائزة
بالاولاد ولهذا المعنى كان يقول النبي صلى الله عليه
للقفال من غزوهم اذا اقدمتم الى نسائكم فالكيس
الكيس يعني في طلب الولد فلم يجعل في عقد
التعفف لتحليل الاختيار فيه والتماس الادوم من
دواعيه وهي نوعان نوع يمكن حصر شروطه ونوع
لا يمكن لاختلاف اسبابه وتباين شروطه فاما

الشروط المحصورة فيه فثلثة شروط احدها
الدين المفضي الى الستر والعفاف المودي الى القناعة
والكفاف قال ابو هريرة لا يفرك مومن
مومنة وان كره منها خلقا رضي خلقا وخطب
رجل من عبد الله بن عباس يتيمة كانت عنده فقال
لا ارضاها لك قال ولم وفي دارك نشات قال انها
تتشرف قال لا ابالي قال الان لا ارضاها لك
وفي معنى هذا قول بعض الحكما من رضي بصحبة من لا خير
فيه لم يرض بصحبته من فيه خير والشرط الثاني
العقل الباعث على حسن التقدير الى صواب التدبير
فقد روي عن النبي صلى الله عليه انه قال
عليكم بالودود الولود ولا تنكحوا الحمقا فان صحبتها
بلا وولدها ضياع والشرط الثالث الا كفا الذي

ينتفي بهم العار ويحصل بهم الاستكثار وقد روى
عن النبي صلى الله عليه انه قال تخيروا لنطفكم
ولا تضعوها الا في الاكفاء وقال اكثم بن صيفي
لولده يا بني لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب
فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال ابو
الاسود الدؤلي لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا
وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت الينا قبل ان
نولد قال اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها

وانشد الرياشي

فاول احساني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

وقد ينضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال
النفس ما يلتئم التحرز منه لبعد الخير عنه وقلة الرشد
فيه فان لوامح الاخلاق بادية في الصور والاشكال

كالذي روى عن النبي صلى الله عليه انه قال لزيد بن حارثة
اتزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعفف مع
عفتك ولا تزوج من النساء خمسا قال وما هن يا رسول الله
قال لا تزوج شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة
ولا هيدرة ولا لفوتا فقال يا رسول الله
ما اعرف مما قلت شيئا قال اما الشهبرة فالزرقاء
البذية واما اللهبرة فالطويلة المهزولة واما
النهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة
الذميمة واما اللفوت فذات الولد من غيرك
وقال شيخ من بني سليم لابنه يا بني اياك والرقوب
الغضوب القطوب فالرقوب التي تراقبه ان يموت
فتاخذ ماله ه واوصى بعض الاعراب ابناءه في التزويج
فقال اياكم والحنانة والمنانة والانانة فالحنانة

التي تحن الى زوج كان لها والمنانة التي تمن على زوجها
بمالها والانانة التي تئن كسلا وتمار رضاه وقال
ادنى من ذلكم النسا اربع فمنهن معمع لها شيئها
اجمع ومنهن تبع تبري ولا تنفع ومنهن صدع
تفرق ولا تجمع ومنهن غيث وقع ببلد فامرع

وقال الشاعر

ارى صاحب النسوان يحسب انها سوا وبون بينهن بعيد
فمنهن جنات تفي ظلالها ومنهن نيران لهن وقود

وانشد ابو العينا عن ابي زيد

ان النسا كاشجار نبتن معا منهن مر وبعض المر ماكول
ان النسا ولو صورن من ذهب فيهن من هفوات الجهل تخييل
ان النسا متى ينهين عن خلق فانه واجب لا بد مفعول
ثم او عد ذلك من شر وفي بدء وما وعد ذلك من خير فمطول

واما النوع الاخر فهو ما لم يكن حصر شروطه لانه
قد تختلف باختلاف الاحوال وتنتقل بتنقل الانسان
والازمان ولانه لا يستغني فيه عن موافقة
النفس ومتابعة الشهوة ليكون ادوم لحال الالفة
وامد لاسباب الوصلة فان الراي المعلول
لا يبقى على حالة والميل المدخول لا يبقى على دخلة
ولا بد ان ينتقل الى احدى حالتين اما الى الزيادة
والكمال واما الى النقصان والزوال حكي عن
رجل انه قال لعلي عليه السلم اني احبك واحب
معوية فقال عليه السلم اما الان فانت اعور
فاما ان تبصر واما ان تعمى واذا كان كذلك فلا بد
من كشف السبب الباعث على هذا النوع فانه
لا يخلوا من ثلثة احوال اما ان يكون الطلب

الولد فانا لا محمد فيه التماس الحداثة والبكارة ولانهما
اخص بالولادة وقد روى عن النبى صلى الله عليه انه
قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق
ارحاما وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحاما
اى اكثر اولادا وقال معاذ بن جبل عليكم بالابكار فانهن
اكثر حبا واقل خبا وهذه الحال هى اول الاحوال
الثلث لان النكاح موضوع لها وللشرع وارد
بها وقد روى عن النبى صلى الله عليه انه قال سوداء
ولود خير من حسناء عاقر وللعرب تقول من
لم يلد فلا ولد وكانوا يختارون لمثل هذه الحال نكاح
البعداء الاجانب ويرون ذلك انجب للولد وابهى
لخلقه ويجتنبون نكاح اهل الاقارب مضوى الخلق
الولد بعيدا من جانبه وقد روى عن النبى صلى الله عليه

وسلم انه

انه قال اغربوا لا تضووا وروى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه قال يا بنى السائب قد اضويتم
فانكحوا فى الغرائب وقال الشاعر
تجاوزت بنت العم وهى حبيبة مخافة ان تضوى علىّ سليلى
وكان حكماء المتقدمين يرون ان انجب الاولاد
خلقا وخلقا من كانت سن امه ما بين العشرين والثلثين
وسن ابيه ما بين الثلثين والخمسين والعرب تقول ولد
الغيرى لا ينجب وان انجب النساء الفروك لان الرجل
يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجل وقالوا ان الرجل
ان اكره المراة وهى مذعورة ثم اذكرت انجبت والحال
الثانية ان تكون المقصود بها القيام بما تتولاه النساء
من تدبير المنازل فهذا وان كان مختصا بمعانى النساء
فليست الزم حالتى الزوجات لانه قد يجوز

قيل

ان معاينة غيرهن من النساء ولذلك المراة الحاينة
ولست بقهرمانة وليس في هذا القصد مأثم في
دين ولا قدح في مروة ولا احمد في مثل هذا الالتماس
ذوي الاسنان والحنكة ممن جرب تدبير المنازل
وعرف عادات الرجال فان اقواما بهذه الحال
والحال الثالثة ان يكون المقصود الاستمتاع وهي
اذم الاحوال الثلثة واوهنها للمروة لانه ينقاد
لاخلاقه البهيمية ويتابع شهواته الذميمة وقد
قال الحرث بن النضر الاسدي شر النكاح
نكاح الغلمة الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة والاضعاف
بالقهرها عند الغلمة او تسكين النفس عند المنازعة
حتى لا تطمح له عين الى ريبة ولا تنازعه نفس
الى فجور فلا يلحقه في ذلك ذم ولا تنباله

وصمة وهو بالحمد اجدر وبالثنا احق ولو تنزه
في مثل هذه الحال عن استبدال الحراير الى الاما كان
اكمل لمروته وابلغ في صيانته وهذه الحال تقف على
شهوات النفوس الا ان يترجح فيها اولو الامور
ثم هي اخطر الاحوال المذكورة لان للشهوات
غايات متناهية تزول بزوالها ما كان متعلقا
بها فتصير الشهوة في الابتداء كراهية في الانتهاء
ولذلك كرهت العرب البنات ووادتهن انفا
وحمية لهن من ان يبتذلهن اللئام بمثل هذه الحال
وكان من خوف قتل البنات لرقة او محبة كان موتهن
احب اليه واثر عنده خطب الى عقيل بن علفة
ابنته الجربا فقال اني وان سيق الي المهر الف
وعبدان وذود عشر احب اصهاري الي القبر

وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابى بنت يراعى شونها ثلثة اصهار اذا حمد الصهر
فبعل يراعيها وخدر يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر

فصل وأما المواخاة بالمودة

وهى الرابع من اسباب الالفة فلانها تكسب بصادق
الميل اخلاصا ومصافاة ويحدث بخلوص المصافاة
وفاء ومحاماة وهذا اعلى مراتب الالفة ولذلك آخى
رسول الله صلى الله عليه بين اصحابه لتزيد الفتهم ويقوى
تضافرهم وتناصرهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال عليكم باخوان الصدق فانهم زينة فى الرخاء
وعصمة فى البلاء وروى ابو الزبير عن سهل بن سعد
ان النبى صلى الله عليه قال المرء كثير باخيه ولا خير
فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له وقال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقاء الاخوان جلاء
الاحزان وقال خالد بن صفوان ان اعجز
الناس من قصر فى طلب الاخوان واعجز منه من ضيع
من ظفر به منهم وقال على عليه السلام لابنه
الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز
من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقال بعض الادباء افضل
الذخائر اخ وفى وقال بعض البلغاء صديق
مساعد عضد وساعد وقال بعض الشعراء

همومى رجال فى امور كثيرة وهمى من الدنيا صديق مساعد
نكون لروح بين جسمين قسمت فجسماهما جسمان والروح واحد

وقيل انما سمى الصديق صديقا لصدقه والعدو
عدوا لعدوه عليك وقال ثعلب انما سمى
الخليل خليلا لان محبته تتخلل القلب فلا تدع

بينه خللا الا ملأته وانشد قول بشار

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا

والمواخاة في النفس بين الناس قد يكون من احد وجهين احدهما
اخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار
والثاني اخوة مكتسبة بالقصد والاختيار فاما
المكتسبة بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تنعقد
عن اسباب تقود اليها والمكتسبة بالقصد تنعقد
لها اسبابا تقاد اليها وما كان جبارا بالطبع
فهو الزم مما هو حادث بالقصد ونحن نبدا بالوجه
الاول المكتسب بالاتفاق فله اسباب تبتدى
منها ثم تنتقل في غاية احواله المحدودة الى
مراتب سبع ربما استكملت وربما وقف
على بعضهن ولكل مرتبة في ذلك حكم خاص

اما المكتسب بالاتفاق فيـ ... ومعنيه المكتسب بالقصد

وسبب موجب كما قال الشاعر

ما هوى الا له سبب يبتدي منه وينشعب

فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان فيها
ويأتلفان بها فان قوي التجانس قوي الائتلاف به
وان ضعف كان ضعيفا به ما لم تحدث علة اخرى
يقوم بها الائتلاف وانما كان كذلك لان الائتلاف
بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم التجانس من وجه
انتفى التشاكل من كل وجه ومع انتفاء التشاكل يعدم
الائتلاف فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخاء
وقاعدة الائتلاف وقد روى يحيى بن سعيد عن عمرة
عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف وهذا واضح وهي بالتجانس متعارفة

وبفقده متناكر وقد قيل في منثور الحكم الاضداد
لا تتفق والاشكال لا تفترق وقال بعض الحكماء
تحسن تشاكل الاخوان يثبت التواصل بينهم وانشد لبعضهم

فلا تحقرن نفسي وانت خليلها فكل امرئ يصبو الى من يجانس
فقلت اخي قالوا اخ من قرابة فقلت لهم ان الشكول اقارب
نسيبي في راي وعزمي وهمتي وان فرقتنا في الاصول المناسب

وقال الغ

ثم قد يحدث التجانس للمواصلة بين المتجانسين وهي الرتبة
الثالثة من رتب الاخاء وسبب المواصلة بينهما
وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفره

وقد قال الشاعر

الناس ان وافقتهم عذبوا او لا فان جناهم مر
كم من رياض لا انيس بها تركت لان طريقها وعر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهي المؤانسة وسببها
الانبساط ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهي
المصافاة وسببها خلوص النية ثم يحدث عن المصافاة
رتبة خامسة وهي المودة وسببها الثقة وهذه
الرتبة ادنى الكمال في احوال الاخاء وما قبلها اسباب
تقود اليها فان اقترن بها المعاضدة فهي الصداقة
ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة وهي المحبة وسببها
الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس
حدثت منه رتبة سابعة وهي الاعظام وان كان
الاستحسان للصورة والحركات حدثت منه رتبة
ثامنة وهي العشق وسببه الطمع وقد قال المامون
عليه السلام اول العشق مزاح وولع ثم يزداد اذا زاد
الطمع فكل من يهوى وان غالت به رتبة الملك لمن يهوى
تبع وهذه الرتبة وهي آخر الرتب المحدودة

وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ولا حال محدودة
لانها قد تؤول الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها
وتفضي الى مخالطة الارواح وان تفارقت اجسادها
وهذه حال لا يمكن حصر غاياتها ولا الوقوف عند نهاياتها
وقد قال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك
ومن هذا القول يحكى عن ابي بكر الصديق رضوان الله
عليه في عمر حين اقطع طلحة بن عبيد الله ارضا وكتب
له بها كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر فاتى طلحة بكتابه
الى عمر رضي الله عنه ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة
مغضبا الى ابي بكر وقال والله ما ادري انت
الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه اناه واما
المكتسبة بالقصد فلا بد لها من داع يدعوا اليها وباعث
يبعث عليها وذلك من وجهين رغبة وفاقة فاما

الرغبة فهو ان تظهر من الانسان فضائل تبعث
على اخائه وتبدو منه شيم جميلة تدعوا الى اصطفائه وهذه
الحال اقوى من التي بعدها لظهور الصفات المطلوبة
من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها من الاغترار
بالتصنع لها فليس كل من اظهر الجميل كان من اهله ولا
كل من تخلق بالحسنى كان في طبعه والمتكلف
للشيء مناف له الا ان يدوم عليه مستحسنا له في
العقل او مندوبا اليه في الشرع فيصير متطبعا
به لا مطبوعا عليه لانه قد تقدم من قول
الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في الطبع ثم
اقول في المتعذر ان تكون اخلاق الفاضل كاملة
بالطبع وانما الاغلب ان تكون بعض فضائله بالطبع
وبعضها بالتطبع الجاري بالعادة مجرى الطبع

حتى يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان
مطبوعاً عليه اذا خالف العادة ولذلك قيل
العادة طبع ثانٍ وقال ابن الرومي

واعلم ان الناس من طينة يصدق في الثلب لها الثالب
لولا علاج الناس اخلاقهم اذاً لفاح الحمأ اللازب

واما الفاقة فهو ان يفتقر الانسان لوحشة
انفراده ومهانة وحدته الى اصطفاء من يانس بمواخاته
ويثق بنصرته وموالاته وقد قالت الحكماء من
لم يرغب في ثلاث بلي بست من لم يرغب في الاخوان
بلي بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة
بلي بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف
بلي بالندامة والخسران ولعمري ان اخوان
الصدق من انفس الذخائر وافضل العدد

لانهم سهام النفوس واولياء النوائب وقد قالت الحكماء
رب صديق اود من شقيق وقيل لمعاوية
اي الناس احب اليك قال صديق يحببني الى الناس
وقال الشاعر

لموالاة ممن يحبك مخلصاً خير من الرحم القريب الكاشح

وقال آخر

يخونك ذو القربى مراراً وربما وفى لك عند العهد من لا تناسبه

فاذا عزم على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم قبل اخائهم
وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفائهم لما تقدم من
قول الحكماء اسبر تخبر ولا تبعثه الوحدة
على الاقدام قبل الخبرة ولا حسن الظن على الاغترار
بالتصنع فان الملق مصايد العقول والنفاق
تدليس الفطن وهما سجية المتصنع وليس فيمن يكون

النفاق والملق بعض سجاياه خير يرجى ولا صلاح
يؤمل في الرجل ذلك قالت الحكما اعرف الرجل
من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من
لسانه وقال خالد بن صفوان انما نفقت على اخواني
لاني لم استعمل معهم النفاق ولا قصرت بهم عن
الاستحقاق وقال حماد بن عجرد

كم اخ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والبشر
فاذا عدا والدهر ذو غير دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض باجمال مودة من يقلي المقل ويعشق المثري
وعليك من حاله واحدة في العسر اما كنت واليسر

على ان الانسان موسوم بسيما من قارب ومنسوب
اليه افاعيل من صاحب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب وقال علي بن ابي طالب
عليه السلام الصاحب مناسب وقال عبد الله بن مسعود
ما شيء ادل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب
على الصاحب وقال بعض الحكما اعرف اخاك
باخيه قبلك وقال بعض الادبا يظن بالمرء ما يظن بقرينه
وقال عدي بن زيد

عن المرء لا تسال وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي

فلزم من هذا الوجه ايضا ان يتحرز من دخلاء السوء
ويتجنب صحبة اهل الريب ليكون موفور العرض
سليم الغيب فلا يلام بملامة غيره وهذا قبل التثبت
والارتيا ومداومة الاختبار والابتلا متعذر
بل معوزه وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء
فيمن حسن ظاهره وخبث باطنه فقال

الم تر ان الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء ابيض صافيا

ونظر بعض الحكماء الى رجل سيء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما الساكن فردي فاخذ بعضهم هذا المعنى

فقال

رب ما بين الثياب فيه منزل عامر وقلب خراب

وانشدني بعض اهل العلم

لا تركنن الى ذي منظر حسن فرب رايقة قد ساء مخبرها

ما كل اصفر دينار لصفرته صفر العقارب ارداها وانكرها

ثم نقدم من قول الحكماء من لم تقدم الامتحان قبل الثقة والمقة قبل الانس اثمرت مودته ندما

وقال بعض البلغاء مصارمة قبل اختبار افضل من مواخاة على اغترار وقال بعض الادباء لا تثق بالصديق قبل الخبرة ولا توقع بالعدو قبل القدرة

وقال بعض الشعراء

لا تحمدن امرءا حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

فحمدك المرء ما لم تبله خطأ وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

واذا عدلت من هذين الوجهين سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم قبل اصطفائهم بالخصال المعتبرة في اخائهم بعد المجانسة التي هي اصل الاتفاق اربع خصال فالخصلة الاولى عقل موفور يهدي الى مراشد الامور فان الحمق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه قال البذاء لوم وصحبة الاحمق شوم وقال بعض الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحمق لان الاحمق ربما ضر وقد يقصد ان ينفع والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف به عليه

العقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود
اقل ضررا مما هو غير محدود وقال المنصور
للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العقلاء
وقال بعض البلغا من الجهل صحبة ذوي الجهل
ومن المحال مجادلة ذوي المحال ٥ وقال بعض
الادبا من استشار عليك باصطناع جاهل او عاجز لم
يخل ان يكون صديقا جاهلا او عدوا عاقلا لانه
يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك ٥
وقال بعض الشعرا
اذا ما كنت متخذا خليلا فلا تثقن بكل اخي اخاء
فان خيرت بينهم فالصق باهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذا ما تفاضلت الفضايل من كفاء
والخصلة الثانية الدين الواقف بصاحبه على الخيرات

فان تارك الدين عدو لنفسه فكيف ترجى منه مودة
غيره وقال بعض الحكما اصطف من الاخوان ذا
الدين والحسب والراي والادب فانهم رد لك عند
حاجتك ويد عند نايبتك وانس عند وحشتك
وزين عند عافيتك وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه
اخلا الرخاء هم كثير ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تواخي فما لك عند نايبة خليل
وكل اخ يقول انا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول
وقال اخر
من لم يكن في الله خلته فخليله منه على خطر
والخصلة الثالثة ان يكون محمود الاخلاق مرضي الافعال
موثرا للخير امرا به كارها للشر ناهيا عنه فان مودة

الشرير تكسب الاعدا وتفسد الاخلاق ولا خير
في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة وملامة فان
المتبوع تابع صاحبه وقال عبد الله بن
المعتز اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا
وقال بعض الحكما مخالطة الاشرار خطر
والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم منه
من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه ٥
وقال بعض البلغا ان من خير الاختيار صحبة
الاخيار ومن شر الاختيار صحبة الاشرار
وقال بعض الشعرا
مجالسة السفيه سفاه راي ومن عقل مجالسة الحليم
فانك والقرين معا سوا كما قد الاديم من الاديم
والخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه

ورغبة في مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة وامد
لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب
اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب
مودة ممتنع عليه ورغب الى زاهد فيه كان معنى
خايبا كما قال البحتري
وطلبت منك مودة لم اعطها ان المعنى طالب لا يظفر
وقال العباس بن الاحنف
فان كان لا يدنيك الا شفاعة فلا خير في ود يكون بشافع
واقسم ما تركي عتابك عن قلى ولكن لعلمي انه غير نافع
واني اذا لم الزم الصبر طايعا فلا بد منه مكرها غير طايع
فاذا استكملت هذه الخصال في انسان وجب اخاه
وتعين اصطفاوه وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون
الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى عليه احوالها

عليه يجعله مستعملاً في الخلق الغالب عليه فان الاخوان
على طبقات مختلفة وانحاء متشعبة ولكل واحد
منهم حال يختص بها في المشاركة وثلمة يسد بها في الموازرة
والمظافرة وليس يستوي احوال جميعهم على حد واحد
لان التباين في الناس غالب واختلافهم في الشيم
ظاهر وقد قال بعض الحكماء الرجال كالشجر شربه
واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور
بن اسمعيل الفقيه فقال

بنو ادم كالنبت ونبت الارض الوان
فمنه شجر الصندل والكافور والبان
ومنه شجر افضل ما يحمل قطران

ومن رام اخوانا يستوي احوال جميعهم فقد رام امرا متعذرا
بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل في نظامه اذ ليس الواحد

من الاخوان يمكن الاستغناء به في كل حال ولا المجبولون
على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما الاختلاف
يكون بالائتلاف وقد قال بعض الحكماء ليس بلبيب
من لم يعاشر من لم يجد من معاشرته بدا وقال المامون
رضي الله عنه الاخوان ثلث طبقات طبقة كالغذاء
لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه وطبقة كالداء
لا يحتاج اليه ابدا ولعمري ان الناس على ما وصفهم لا
الاخوان فليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين
بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون بالمودة
استكفافا لشرهم وتحرزا من مكاشفتهم فدخلوا
في اعداد الاخوان بالمظاهرة والمساترة وفي
الاعداء عند المكاشفة والمجاهرة وقال
بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليك كالحنظلة

الحضرة اوراقها القائلة ما فوقها وقد قيل في حكم الفرس
لا تغترن بمقاربة العدو فانه كالماء ان اطيل
اسخانه بالنار لم يمنع من اطفائها وقال يزيد بن الحكم
الثقفي

تكاشرني كرها كانك ناصح وعينك تبدي ان صدرك لي دوي
لسانك معسول ونفسك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوي
فليت كفافا كان خيرك كله وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

واذا خرج من كان كالداء من عداد الاخوان فالاخوان هم
صنفان الاخوان من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان
الغذاء قوام النفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحها
وافضلهما من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم واذا
تميز الاخوان وجب ان ينزل كل واحد منهم حيث
نزلته به احواله اليه واسفرت خلاله وخصاله

عليه ممن قويت اسبابه قويت الثقة به وبحسب
الثقة به تكون الركون اليه والتعويل عليه

قال الشاعر

ما انت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب
فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطبيب لشدة الاوصاب

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الاخوان فمنهم
من يرى ان الاستكثار منهم اولى ليكونوا اقوى منعة ويدا
واوفر تحببا وتوددا وان تفاوتوا وتفرقوا وقيل
لبعض الحكماء ما العيش فقال اقبال الزمان وعز
السلطان وكثرة الاخوان وقد قيل حلية المرء كثرة
اخوانه ومنهم من يرى ان الاقلال منهم اولى لانه اخف
اثقالا وكلفا واقل تنازعا وخلفا وقد قال
الاسكندر المستكثر من الاخوان من غير اختبار كالمستوقر

من المجازاة والمقل من الاخوان المتخيرين لهم كالذي يتخير
الجوهر وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه
كثر غرماوه وقال ابرهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار
قليلها متاع وكثيرها بوار ولقد احسن ابن الرومي
في هذا المعنى ونبه على العلة حيث يقول

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الدا اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب
فما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الري في نطف عذاب

وقال بعض البلغا ليس غرضك في اتخاذ
الاخوان والاخلا واصطناع النصحا تكثير العدة لا
تكثير العدد وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد
تحصل به المراد خير من الف تكثر الاعداد وان كان

التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة واسباب
المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضي من
حال صاحبه قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب
شكله وامثاله من ذوي العقل والفضل اقل من
اضداده من ذوي الحمق والنقص لان الخيار في كل جنس هو
الاقل فلذلك صح ما قلنا وفور العقل والفضل وقد قال
الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون فقلل بهذا التعليل اخوان اهل
الفضل لقلتهم وكثر اخوان ذوي النقص والجهل لكثرتهم
وقد قال في ذلك الشاعر

لكل امري شكل من الناس مثله فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا
وكل اناس يالفون لشكلهم فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا
لان كثير العقل ليس بواجد له في طريق حين يسلكه مثلا

وكل سفينة طايش ان فقدته وجنف له في كل ناحية عدلا
واذا كان الامر على ما وصفنا فقد تنقسم احوال من
دخل في عداد الاخوان اربعة اقسام منهم من يعين
ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ومنهم من
يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين
فاما المعين المستعين فهو معاوض
منصف يودي ما عليه ويستوفي ما له كالمقرض
يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغنا فهو
مشكور في معونته ومعذور في استعانته وهذا
اعدل احوال الاخوان واما من لا يعين
ولا يستعين فهو متارك قد منع خيره وقمع شره
فلا هو صديق يرجى ولا عدو يخشى وقد قال
المعنى من شعبة التارك للاخوان متروك ومن كان

كذلك فهو كالصورة الممثلة يروقك حسنها ويخونك
نفعها فلا هو مشكور لمنع خيره ولا هو مذموم لقمع
شره وان كان بالذم اجدر وقد قال الشاعر

واسوأ ايام الفتى يوم لا يرى له احد يزري عليه وينكر

غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر
من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا
كما قال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

واما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ومهين
مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة
فلا خيره يرجى ولا شره يومن وحسبك مهانة
من رجل مستثقل عند اقلاله ويستقل عند استقلاله
فليس لمثله في الاخاء حظ ولا في الوداد نصيب

وهو ممن جعله المامون من داء الاخوان لا من دوائهم
ومن سمهم لا من غذائهم وقال بعض الحكما
شر ما في الكريم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم
ان يكف عنك شره وقال ابن الرومي
عذرنا النخل في ابداء شوك يرد به الانامل عن جناه
فما للعوسج ابدى لنا شوكا بلا ثمر نراه
واما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع
مشكور الصنع قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء
فلا يرى ثقيلا في نائبة ولا يقعد عن نهضة في
معونة فهذا اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا
فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل
لانه البر الكريم والدر اليتيم ان يثني عليه خنصره
ويعض عليه بناجذه ويكون به اشد ضنا منه

بنفائس امواله وسني ذخائره لان نفع الاخوان
عام ونفع الاموال خاص وما كان اعم نفعا فهو بالادخار
احق وقد قال الفرزدق
يمضي اخوك فلا تلقى له خلفا والمال بعد ذهاب المال يكتسب
وقال آخر
لكل شيء عدمته عوض وما لفقد الصديق من عوض
ثم لا ينبغي ان يزهد فيه لخلق او خلقين ينكرهما
منه اذا رضي سائر اخلاقه وحمد اكثر شيمه لان
اليسير مغفور والكمال معوز وقد قال الكندي
كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو
طبائع اربعة مع ان نفس الانسان التي هي اخص النفوس به
ومدبرة باراداته واختياره لا تعطيه قيادها في
كل ما يريد ولا تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف

بنفس غيره وحسبك ان يكون لك من اخيك اكثره وقد
قال ابو الدردا معاتبة الاخ خير من
فقده ومن لك باخيك كله فاخذ الشعرا هذا المعنى
فقال ابو العتاهيه

اخي من لك من بني الدنيا بكل اخيك من لك
ما تستبق بعضك لا تملك كل من اعطيت كلك

وقال ابو تمام الطاي

ما غبن المغبون مثل عقله من لك يوما باخيك كله

وقال بعض الحكما طلب الانصاف من قلة
الانصاف فقال بعض الزهاد لا يزهدنك في
رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله
وبطنت عقله عيب خفي تحيط به كثرة فضايله
او ذنب صغير تستغفر له قوة وسايله فانك

لن تجد ما بقيت مهذبا لا يكون فيه عيب ولا يقع
منه ذنب فاعتبر بنفسك بعد ان لا تراها بعين
الرضا ولا تجري فيها على حكم الهوى فان في اعتبارك
بها واختبارك لها ما يويسك مما تطلب ويعطفك
على من يذنب وقال الشاعر

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

وقال النابغة الذبياني

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختباره واختيار
الخصال الاربع فيه لان ما اعوز منها معفو عنه وهكذا
لا ينبغي ان توحشه فترة تجدها منه ولا ان يسيء به
الظن في هفوة يكون منه ما لم يتحقق تغيره ولم يتيقن تنكره
وليصرف ذلك الى فترات النفوس واستراحة الخواطر

فان الانسان قد يعتبر عن مراعاة نفسه التي هي اخص
النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملال
منها وقد قيل في منثور الحكم لا تفسدك الظن
على صديق قد اصلحك اليقين له وقال جعفر
بن محمد لابنه يا بني من اغضبت من اخوانك ثلث مرات
فلم يقل فيك سوءا فاتخذه لنفسك خلا وقال
الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان
والاغضاء عن تقصير كان ه وقد روي عن علي عليه السلم
في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال الرضا بغير
عتاب وقال ابن الرومي

هم الناس في الدنيا ولا بد من قذى يلم بعين او يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف انك تبتغي المهذب في الدنيا ولست المهذبا

وقال بعض الشعرا

نرى اصلنا على الايام باق ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوبه لكن تراه على علاته داني النزوع
معاذ الله ان تلقى غضابا سوى دل المطاع على المطيع

وانشد الازدي

لا تيئسنك من صديق نبوة ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم
فاذا نبا فاستبقه وتانه حتى يفيء به الطباع الاكرم

واما الملول فهو السريع التغير الوشيك
النكث فوائده حظر واخاوه غرر لانه لا يثق على حالة
ولا يخلو من استحالة قال ابن الرومي في ذلك

اذا انت عاتبت الملول فانما تخط على صحف من الماء احرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن مودته طبعا فصارت تكلفا

وهم نوعان منهم من يلون ملالة استراحة ثم يعود الى
المعهود من اخايه فهذا اسلم الملالين واقرب الرجلين

سائح في وقت استراحته وحين فترته ليرجع الى
الحسنى ويؤوب الى الاخا وان تقدم المثل بها
نظمه الشاعر حيث يقول

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما عفت منه آثار وجفت مشارعه
فقلت الى ان يرجع الماء عائدا وتعشب جنباه تموت ضفادعه

لكن لا يطرح حقه بالتوهم ولا تسقط حرمته بالظنون
وقد قال الشاعر

اذا ما قال عهد اخيك يوما وجار عن الطريق المستقيم
فلا تعجل بلومك واستدمه فان اخا الحفاظ المستديم
فان تك زلة منه والا فلا تبعد عن الخلق الكريم

ومنهم من يكون لله تركا واطراحا ولا يراجع اخا ولا
ودا ولا تبذل حفاظا ولا عهدا كما قال الاشجع بن
عمرو السلمي

اني رأيت لها مواصلة كالسم تفرغه على الشهد
فاذا اخذت بعهد ذمتها لعب الصدود بذلك العهد

وهذا اذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس
الخطرات وعوارض الشهوات وليس الا استدراك
الحال معه بالاقلاع قبل الخلطة او حسن المتاركة
بعد الورطة كما قال العباس بن الاحنف

تداركت نفسي فعزيتها ونغصتها قبل اما لها
وما طابت النفس عن سلوة ولكن حملت عليها لها

وما مثل من هذه حاله الا كما قال ابرهيم بن هرمه

فانك واطراحك وصل سلمى لاخرى في مودتها نكوب
كثاقبة لحلي مستعار باذنيها فشانتها الثقوب
فادت حلي جارتها اليها وقد بقيت باذنيها ندوب

فاذا صفت عنده اخلاق من سبره وتمكنت له احوال من

خبرته واقدم اصطفائه اخا وعلى اتخاذه خدنا فالمنه
حينئذ حقوقه ووجبت عليه حرماته وقد قال
عمرو بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية
الرق وقال بعض الحكما من جاد لك بمودته
فقد جعلك عديل نفسه فاول حقوقه اعتقاد
مودته ثم ايناسه بالانبساط اليه في غير محرم
ثم نصحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال عنه
ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة او ينال من
نكبة فان مراقبته في الظاهر نفاق وتركه في
الشدة لوم وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه
قال خير اصحابك المعين لك على دهرك
وشرهم من سعى لك بسوق يومه وقيل يا رسول
الله اي الاصحاب خير قال الذي اذا ذكرت اعانك

واذا نسيت ذكرك وقال علي بن ابي طالب عليه السلم
خير اخوانك من واساك وخير منه من كفاك وكان
ابو هريرة رضي الله عنه يقول اللهم اني اعوذ بك
ممن لا يلتمس خالص مودتي الا بموافقة شهوتي وممن
يساعدني على سرور ساعتي ولا يفكر في حوادث
غدي وقال بعض البلغا عقود الغادر
محلولة وعهوده مدخولة ما ودك من اهمل ودك
ولا احبك من ابغض حبك وقال بعض الشعرا

وكل اخ عند الهوينا ملاطف ولكنما الاخوان عند الشدايد

وقال صالح بن عبد القدوس

شر الاخلا من كانت مودته مع الزمان اذا ما خاف او رغبا
اذا وترت امرا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
ان العدو وان ابدى مسالمة اذا راى منك يوما فرصة وثبا

وينبغي ان تتوقى الافراط في محبته فان الافراط داع الى
التقصير ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان
تكون متناهية وقد روى ابن سيرين عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه قال احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقد قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا وقال ابو الاسود الدولي

وكن معدنا للخير واصفح عن الاذى فانك راء ما علمت وسامع
واحبب اذا احببت حبا مقاربا فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت غير مباين فانك لا تدري متى انت راجع

وقال عدي بن زيد

لا تأمنن من مبغض قرب داره ولا من محب ان يمل فيبعد

وانما يلزم من حقوق الاخا بذل المجهود في النصح
والتناهي في رعاية ما بينهما من الحق فليس في
ذلك افراط وان تناهى ولا تجاوزه حد وان
تكثروا وفي وتستوي حالتاهما في المغيب والمشهد
ولا يكون مغيبهما افضل من مشهدهما اولى
فان فضل المشهد على المغيب لؤم وفضل المغيب على
المشهد كرم واستواهما احتياط

وقد قال بعض الشعرا

على لاخواني رقيب من الصفا تبيد الليالي وهو ليس يبيد
يذكرنيهم في مغيب ومشهد فسيان منهم غايب وشهيد
واني لاستحيي اخي ان ابره قريبا وان اجفوه وهو بعيد

وهكذى تقصد التوسط فى زيارته وغشيانه غير
مقلل ولامكثر فان تقليل الزيارة داعية الهجران
وكثرتها سبب الملال وقد قال النبى صلى الله
عليه يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقال لبيد

توقف عن زيارة كل يوم اذا اكثرت ملك من تزود

وقال آخر

اقلل زيارتك الصديق ولا تطل هجرانه فيلج فى هجرانه
ان الصديق يلح فى غشيانه لصديقه فيمل من غشيانه
حتى تراه بعد طول سروره بمكانه متثاقلا بمكانه
واذا توانى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشانه

وحسب ذلك ولكن في عتابه فان كثرة العتاب
سبب القطيعة واطراح جميعه دليل على
قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قيل علة المعاداة
قلة المبالاة بل يتوسط حالتيه تركه وعتابه
فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة فان المسامحة
والاستصلاح اذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور ولم
يبق معهما وجد وقد قال بعض الحكماء
لا تكثرن معاتبة اخوانك فيهون عليهم سخطك

وقال منصور النمري

اقلل عتاب من استربت بوده ليست تنال مودة بعتاب

وقال بشار بن برد

اذا كنت فى كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت واى الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه

ثم من حق الاخوان ان تغفر هفواتهم وتستر زلاتهم لان
من رام بريا من الهفوات سليما من الزلات رام امرا

معوزا او اقترح وصفا معجزاه وقد قالت الحكما
اى عالم لا يهفوا او صارم لا ينبوا او جواد لا يكبوا
وقالوا من حاول صديقا يامن زلته ويدوم اغتباطه
به كان كضال الطريق الذى لا يزداد لنفسه اتعابا
الا ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد بن
صفوان اى اخوانك احب اليك قال من سد خللى
وقطع عللى وبلغنى املى وقال بعض الشعرا

ما كدت افحص عن اخى ثقة الا ذممت عواقب الفحص

وانشدت عن الربيع للشافعي رحمه الله عليه

احب من الاخوان كل مواتى وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل امر اريده ويحفظنى حيا وبعد وفاتى
فمن لى بهذا ليت انى اصبته فقاسمته مالى من الحسنات
تصفحت اخوانى وكان اقلهم على كثرة الاخوان اهل ثقاتى

وانشد ثعلب

اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد بكفيك فى ادباره متعلقا
اذا انت لم تترك اخاك وزلة اذا زلها اوشكتما ان تفرقا

وحكى الاصمعى عن بعض الاعراب انه قال تناسى
مساوى الاخوان يدم لك ودهم ووصى بعض الادبا
اخاله فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا
وللخل واصلا وان لم تجد مواصلا وقال رجل من اياد
ليزيد بن المهلب

اذا لم تجاوز عن اخ عند زلة فلست غدا عن عثرتى متجاوزا
وكيف ترجيك البعيد لنفعه اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا
ظلمت اخا للقته فوق وسعه وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

وقال ابو سعود كانت الرضا كنا فى مجلس
الرضا فشكا رجل اخاه فانشد الرضا يقول

اعذر اخاك على ذنوبه واستر وغط على عيوبه
واصبر على بهت السفيه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا وكل الظلوم الى حسيبه
واعلم بان الحلم عند الغيظ احسن من ركوبه

وحكى عن بنت عبد الله بن مطيع انها قالت لزوجها
طلحة بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري وكان اجود قريش
في زمانه ما رايت قوما الأم من اخوانك قال لها مه
ولم قلت ذلك قالت اراهم اذا ايسرت لزموك
واذا اعسرت تركوك قال هذا والله من كرمهم
ياتوننا في حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال
الضعف بنا عنهم انظر كيف تاول بكرمه هذا التاويل
حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر غدرهم
وفا وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا
يلزم ذوي الفضل ان ياسوا ولو هفوات اخوانهم

وقد قال بعض الشعرا

اذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذرا
احب الفتى ينفي الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا

والداعي الى هذا التاويل شيان التغافل الحادث
عن الفطنة والتالف الصادر عن الوفاء وقد قال اكثم
بن صيفي من تشدد نفر ومن تراخى تالف والشرف
في التغافل وقال شبيب بن شيبه
الاديب العاقل هو الفطن المتغافل وقال بعض الحكماء
وجدت امور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل

وقال الطاى

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال ابو العتاهيه

ان في صحة الاخاء من الناس وفي خلة الوفاء لقلة
فالبس الناس ما استطعت على النقص والا لم تستقم لك خلة
غش وحيلة ان كنت لا تقبل العذر وان كنت لا تجاوز زلة
من اب واحد وام خلقنا غير انا في الفعال اولا علة

ومما يتسع هذا الفضل تألف الاعداء
بما يثنيهم عن البغضة ويعطفهم على المحبة وذلك
قد يكون بضروب من البر ويختلف بحسب اختلاف
الاحوال فان ذلك من سمات التفضل وشروط
السودد فانه ما احد يعدم عدوا ولا يفقد
حاسدا وبحسب وفور النعمة يكثر الاعداء والحسد
كما قال البحتري
ولن تستبين الدهر موقع نعمة اذا انت لم تدلل عليها
بحاسد

فان اغفلت تألف الاعداء مع وفور النعمة وظهور الحسد
توالى عليه من مكر حليمهم وبادرة سفيههم ما تصير
به النعمة غراما والدعة ملاما وروى ابن المسيب عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه راس العقل
بعد الايمان بالله التودد الى الناس وقال سليمن
بن داود لابنه لا تستكثر ان يكون لك الف صديق
فالالف قليل ولا تستقل ان يكون لك عدو واحد
فالواحد كثير فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال
تكثر من الاخوان ما استطعت انهم بطون اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا الف خل وصاحب وان عدوا واحدا لكثير
وقيل لعبد الملك بن مروان ما الذي اعددت في ملكك
هذا قال مودات الرجال وقال بعض الحكماء من علامة
الاقبال اصطناع الرجال وقال بعض البلغاء من

استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد صديقه
نقص من عدده وقال بعض الادباء العجب
ممن يطرح عاقلا كافيا لما يبصره من عداوته ويصطنع
عاقرا جاهلا لما يظهر من محبته وهو يقدر على استصلاح
من يعاديه بحسن صنايعه واياديه وقال عبد الله
بن الزبير بلغه ابيات جامعة لكل ما قالته العرب

وهي للاموه

بلوت الناس قرنا بعد قرن فلم ار غير ختال وقالي
وذقت مرارة الاشياء جمعا فما طعم امر من السوال
ولم ار في الخطوب اشد هولا واصعب من معاداة الرجال

وقال القاضي التنوخي

الق العدو بوجه لا قطوب به يكاد يقطر من ماء البشاشات
فاحزم الناس من يلقى اعاديه في جسم حقد وثوب من مودات
الرفق يمن وخير القول اصدقه وكثرة المزح مفتاح العداوات

وانشد نفعل الربيع للشافعي رحمة الله عليه

لما عفوت ولم احقد على احد ارحت نفسي من هم العداوات
اني احيي عدوي عند رؤيته كانما قد حشى قلبي محبات
واظهر البشر للانسان ابغضه لادفع الشر عني بالتحيات
الناس داء ودواء الناس قربهم وفي اعتزالهم قطع المودات

وليس وان كان بتالف الاعداء مامورا والى مقاربتهم
مندوبا ينبغي ان يكون اليهم راكنا وبهم واثقا بل يكون
منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز فان العداوة
اذا استحكمت في الطباع صارت طبعا لا يستحيل
وجبلة لا تزول وانما يستكف بالتالف
اظهارها ويستدفع به اضرارها كالنار يستدفع
بالماء احراقها ويستفاد به انضاجها وان كانت محرقة

بطبع لا يزول وجوهر لا يتغير

وقد قال الشاعر

واذا عجزت عن العدو فداره وامزج له ان المزاج وفاق

فالماء بالنار الذي هو ضدها تعطي النضاج وطبعها الاحراق

فصل واما البر وهو الخامس

من اسباب الالفة فلانه يوصل الى القلوب الطافا

ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك ندب الله تعالى

الى التعاون به وقرنه بالتقوى له فقال وتعاونوا

على البر والتقوى لان في التقوى رضى الله وفي البر رضى

الناس ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد

تمت سعادته وعمت نعمته وروى الاعمش عن خيثمة

عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول جبلت القلوب على حب من احسن

اليها وبغض من اساء اليها وحكي

ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلم ذكر عبادي

احساني اليهم ليحبوني فان عبادي لا يحبون الا من احسن

اليهم ۞ وانشدني ابو الحسن بن ابي الحارث الهاشمي

الناس كلهم عيال الله تحت ظلاله

فاحبهم طرا اليه ابرهم بعياله

والبر نوعان صلة ومعروف فاما الصلة فهي التبرع

ببذل المال في جهات محمودة لغير عوض مطلوب وهذا

تبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها ويمنع منه شحها

واباؤها قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك

هم المفلحون وروى محمد بن ابرهيم التيمي عن عروة بن الزبير

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله

قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل

بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب
من النار ه وقال صلى الله عليه لعدي بن حاتم
رفع الله عن ابيك العذاب الشديد بسخايه وبلغه
عن ابن عمر ان سائلا يجذب عمامته اليه وقال يا زبير
انا رسول الله اليك والى غيرك يقول انفق انفق عليك
ولا توك فاوكى عليك وروى ابو الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
غربت فيه شمسه الا وملكان يناديان اللهم اعط
منفقا خلفا وممسكا تلفا وانزل في ذلك القران
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى وقال ابن عباس يعني من اعطى مما امر
واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعني الخلف

من عطايه بعد هذا قال ابن عباس سادة الناس
في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الاتقياء وقيل في منثور
الحكم الجود عن موجود ه وقيل في المثل سؤدد
بلا جود كملك بلا جنود وقال بعض الحكماء الجود
حارس الاعراض وقال بعض الادباء من جاد ساد
ومن اضعف ازداد وقال بعض البلغاء الجود
الرجل يحببه الى اضداده والبخل يبغضه الى اولاده
وقال بعض الفصحاء خير الاموال ما استرق حرا
وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح بن عبد القدوس
ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاوه
تغط باثواب السخاء فانني ارى كل عيب والسخاء غطاؤه
وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل
الى مستحقه بقدر الطاقة وتدبير ذلك مستصعب

ولعل بعض من يحب ان ينسب الى الكرم ينكر حد السخا
ويجعل تقدير العطية نوعا من البخل وان الجود
بذل الموجود وهذا تكلف يفضي الى الجهل بحدود
الفضايل ولو كان حد الجود بذل الموجود لما كان
للسرف موضع ولا للتبذير موقع وقد ورد الكتاب
بذمهما وجاءت السنة بالنهي عنهما واذا كان السخا
محدودا فمن وقف على حده سمي كريما وكان للحمد مستحقا
ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد
قال الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اقسم الله بعزته لا يجاوره بخيل وروي
عنه صلى الله عليه انه قال طعام الجواد دوا

وطعام البخيل داء وسمع صلى الله عليه رجلا
يقول الشحيح اعذر من الظالم فقال لعن
الله الشحيح ولعن الظالم وقال بعض الحكماء
البخل جلباب المسكنة وقال بعض الادبا
البخيل ليس له خليل وقال بعض البلغا البخيل
حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعرا
اذا كنت جماعا للمال ممسكا فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد فياكله عفوا وانت دفين
وتظاهر بعض ذوي النباهة بحب الثنا مع امساك
فيه فقال فيه بعض الشعرا
اراك تؤمل حسن الثناء ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود اخو بطنة يمن كثيرا ويعطي قليلا
وقد يتنافى حب الثنا وحب المال لان حب الثنا

ينبعث على البذل وحب المال يمنع منه فان ظهر
كان حب الثنا كاذبا وقال بعض الشعرا
جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك واخلاق المماليك
اردت شكرا بلا بر ولا صلة لقد سلكت طريقا غير مسلوك
ظننت عرضك لم يقرع بقارعة وما اراك على حال بمتروك
لئن سبقت الى مال خطبت به لما سبقت الى شي سوى النوك
وقد يحدث عن البخل من الاخلاق المذمومة وان كان
ذريعة الى كل مذمة اربعة اخلاق ناهيك
بها ذما وهي الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق
فاما الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في
الطلب واما الشره فهو استقلال الكفاية
والاستكثار لغير حاجة وهذا فرق ما بين الحرص والشره
وقد روي عن العلاء بن جرير عن ابيه عن سالم بن مسرور

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا
يحزنه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه وقال
بعض الحكما الشره من غرائز اللوم واما
سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان كانت
بالخالق كانت شكا يؤول الى ضلال وان كانت
بالمخلوق كانت استخانة يصير بها مخانا ومخونا لان
ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه
فان وجد فيها خيرا ظنه في غيره وان راى منها سوءا
اعتقده في الناس وقد قيل في المثل كل اناء ينضح
بما فيه فان قيل قد تقدم من قول الحكما ان
من الحزم سوء الظن قيل نعم ويليه قلة الاسترسال
اليهم لا اعتقاد السوء فيهم واما منع
الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا انقياد

الى ترك مطلوبها فلا تدعن حق ولا تجيب الى انصاف
واذا البخل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومة
والشيم اللئيمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مامول
وقد روى عن النبى صلى الله عليه انه قال للانصار
من سيدكم الجد بن قيس على بخل فقال صلى الله
عليه وسلم واى داء ادوأ من البخل قالوا وكيف كان
ذلك يا رسول الله قال ان قوما نزلوا بساحل
فكره البخل نزول الاضياف بهم فقالوا
ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال
الى الاضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد
الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال
بالرجال والنساء بالنساء فاما السرف والتبذير
فان من زاد على حد السخاء فهو مسرف ومبذر

وهو بالذم جدير قال الله تعالى ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ما عال مقتصد وقال المامون
لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير وقال
بعض الحكما كما صدق الرجل فضله وسرفه
على غيره وقال بعض البلغا لا كثير مع اسراف
ولا قليل مع احتراف واعلم ان السرف والتبذير
قد يفترق معناهما فالسرف هو الجهل بمقادير
الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما
مذموم وذم التبذير اعظم لان المسرف مخطى
فى الزيادة والمبذر مخطى فى الجمع ومن جهل مواقع
الحقوق ومقاديرها بماله واعطاها فهو كمن
جهلها بافعاله فتعداها وكما انه بتبذيره قد

يضع الشي في غير موضعه فهكذا يكن يعدل
عن موضعه لان المال اقل من ان يوضع في كل
موضع من حق وغير حق وقد قال معوية كل سرف
فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكما الخطا
في اعطا ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد ه وقال
سفيان الثوري الحلال لا يحتمل السرف وليس تتم
السخا ببذل ما في يده حتى يسخو نفسه عما بيد غيره
فلا يميل الى طلب ولا يكف عن بذل وقد
حكي ان الله تعالى اوحى الى ابرهيم الخليل عليه
السلم اتدري لم اتخذتك خليلا قال لا يا رب
قال لاني رايتك تحب ان تعطي ولا تحب ان تاخذ
وروى سهل بن سعد الساعدي ان رجلا اتى
الى النبي صلى الله عليه فقال يا رسول الله

اخبرني بعمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال
ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس
يحبك الناس وقال ايوب السختياني لا ينبل
الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عن اموال الناس
والتجاوز عنهم وقيل لسفيان ما الزهد في الدنيا
قال الزهد في الناس وكتب كسرى الى ابنه هرمز
يا بني استقلل الكثير مما تعطي واستكثر القليل مما تاخذ
فان قرة عيون الكرام في الاعطا وسرور اللئام
في الاخذ ولا تعد الشحيح امينا ولا الكذاب حرا
فانه لا عفة مع الشح ولا مروة مع الكذب وقال بعض
الحكما السخا سخاان فاشرفهما سخاوك عما بيد غيرك
وقال بعض البلغا السخا ان تكون بمالك متبرعا وعن مال
غيرك متورعا ه وقال بعض الصلحا الجود غاية

الزهد والزهد غاية الجود وقال بعض الشعرا

اذا لم تكن نفس الشريف شريفة وان كان ذا قدر فليس له قدر

والبذل على وجهين احدهما ما ابتدا به الانسان من غير
سؤال والثاني ما كان عن طلب وسؤال فاما
المبتدى به فهو اطبعهما سخا واشرفهما عطا
سئل علي عليه السلام عن السخا فقال ما كان منه
ابتدا فاما ما كان عن مسألة فحيا وتكرم وقال
بعض الحكما اجل النوال ما وصل قبل السؤال

وقال بعض الشعرا

وفتى خلا من ماله ومن المروة غير خال
اعطاك قبل سؤاله وكفاك مكروه السؤال

وهذا النوع من البذل قد يكون لاجل تسعة اسباب
فالسبب الاول ان يرى خلة يقدر على سدها
وفاقة يتمكن من ازالتها فلا يدعه الكرم والتدين
الا ان يكون زعيم صلاحها وكفيل نجاحها رغبة
في الاجر ان تدين وفي الشكر ان تكرم وقال

ابو العتاهية

ما الناس الا آلة معتملة للخير والشر جميعا فعله

والسبب الثاني ان يرى في ماله فضلا عن حاجته
وفي يده زيادة عن كفايته فيرى انتهاز الفرصة لها
فيضعها حيث يكون له ذخرا معدا وغنما مستجدا
وقد قال الحسن البصري ما انصفك من كلفك
اجلاله ومنعك ماله وقيل لهند بنت الخس
من اعظم الناس في عينك قالت من كانت لي اليه حاجة

وقال الشاعر

وما ضاع مال ورث الحمد اهله ولكن اموال البخيل تضيع

والسبب الثالث أن يكون لتعريض ينبه عليه
بفطنته وإشارة يستدل عليها بالرمز ولا يدعه اللؤم
أن يغفل ولا الحياء أن يكف كالذي حكي أن
رجلا ساير بعض الولاة فقال له أهزل برذونك
فقال له مع أبينا نوصله انظر كيف التفى بهذا
التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ولذلك
قال أكثم بن صيفي السخاء حسن الفطنة واللؤم
سوء التغافل وحكي أن عبيد الله بن سليمان لما تقلد
وزارة المعتضد كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهم المقدم
فقال عبيد الله ما أحسن ما شكا إلينا أمره
بين أضعاف مدحه وقضاء حاجته ولذلك

قال بعض الشعراء
ومن لا يرى من نفسه مذ كرها له طلب المستنجح بين تفضلا
والسبب الرابع أن يكون ذلك رعاية ليد أو جزاء
على صنيعة فيرى تأدية الحق عليه طوعا إما أنفة وإما
شكرا ليسلم من أسر الامتنان طالبا ومن رق الإحسان
عتيقا فقد قال بعض الحكماء الإحسان رق
والمكافأة عتق وقال أبو العتاهية
وليست أيادي الناس عندي غنيمة ورب يد عندي أشد من الأسر
والسبب الخامس أن يؤثر الإذعان بقدرته والإقرار
بتعظيمه لتوطيد الرياسة هو لها محب وعلى طلبها
مكب وقد قال الشاعر
حب الرياسة داء لا دواء له وقل ما تجد الراضين بالقسم
فتستصعب عليه إجابة النفوس له طوعا إلا

بالاستعطاف وادعاهما الى الامال رغبة والاسعاف
فقد قال بعض الادبا بالاحسان يرتبط الانسان
وقال بعض البلغا من بذل ماله ادرك
آماله وقال بعض الشعرا
ارجوا ان تسود ولا تعنى وكيف يسود ذو الدعة البخيل
والسبب السادس ان يستدفع به سطوة اعدايه
ويستكف به نفار خصمايه فيصير والاه بعد الخصوم
اعوانا وبعد العداوة اخوانا اما الصيانة عرض واما
لحراسة مجد وقد قال ابو تمام الطاى
فلم تجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرى
والدراهم
ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه مغارم في الاقوام
وهي مغانم

وقال بعض الادبا من عظمت مرافقه اعظمه موافقه
والسبب السابع ان يترب به سالف صنيعة اولاها
ويراعي به قديم نعمة اسداها كيلا ينسى ما اولاه
او يضاع ما ابتداه فان مقطوع البر ضايع ومهمل
الاحسان ضال وقد قال الشاعر
وسميت امرا ما العرف ثم اطرحته ومن افضل الاشيا
رب الصنايع
وقال محمد بن داود الاصبهاني
تداركت نعمى اوجبت لى حرمة عليك فعد بالفضل فالعود احمد
والسبب الثامن المحبة التى يوثرها المحبوب على ما له
فلا يضن عليه بمرغوب ولا يستكثر عليه بمطلوب
للذة التى هي عنده احظى والى نفسه اشهى لان النفس
الى محبوبها اشوق والى ما تملكه اسبق ۝

فقال الشاعر

وما ان تكلم عمدًا ولكن ذا الهوى الى حيث يهوى القلب تهوى

به الرجل

وهذا وان دخل في اقسام العطاء فخارج عن حد
السخا وهكذا الخامس والسادس من هذه الاسباب
وانما كان ما هذا لا دخولها تحت اقسام العطاء
والسبب التاسع وليس بسبب ان تفعل ذلك
الا من غير ما سبب وانما هي سجية قد فطر عليها دسته
قد طبع لها فلا يميز بين مستحق ومحروم ولا يفرق
بين محمود ومذموم كما قال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وقد اختلف الناس في مثل هذا هل يكون منسوبا
الى السخا محمدًا ام خارجًا عنه فيذم وقال قوم
هذا هو السخي طبعًا والجواد كرمًا وهو احق من كان
به ممدوحًا واليه منسوبًا قالوا والتمييز شرط
البخل والبذل لسبب التجاوز ضرورة

وقال ابو تمام الطائي

من غير ما سبب يدني فهي سببا للنجح ان الجندي حرًا

بلا سبب

وقال الحسن بن سهل اذا لم اعط الا مستحقًا وكافي
اعطيت غرمًا وقال الشرف في السرف فقيل
له لا خير في السرف فقال ولا سرف في الخير
وقال الفضل بن سهل العجب لمن يرجوا من فوقه
كيف يحرم من دونه   وقال بشار

وما الناس الا صاحبان فمنهم سخي ومغلول اليدين من البخل

فسامح بدا ما املكك فانما تقل وتثري والعواذل في شغل

وقال آخرون هذا خارج من السخاء المحمود الى السرف
والتبذير المذموم لان العطا اذا كان لغير سبب
كان المنع لغير سبب لان المال تقل عن الحقوق
وتقصر عن الواجبات فاذا اعطى المستحق فقد منع مستحقا
وما يناله من الذم بمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد
باعطا غير المستحق وحسبك ذما بمن كانت
افعاله تصدر عن غير تمييز وتوجد لغير علة
وقد قال الله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا فنهى عن بسطها سرفا كما نهى عن قبضها
بخلا فدل على استوا الامرين ذما وعلى انتفائهما
لوما وقال الشاعر
وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما ان تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول
قالوا ولان العطا والمنع اذا كانا لغير علة افضيا
الى ذم الممنوع وقلة شكر المعطى اما الممنوع فلانه
قد فضل عليه من ساواه واما المعطى فانه يجد
ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعافا فصار
ذلك مفضيا الى اختلاف الذم واحباط الشكر وليس
فيما افضى الى واحد منهما خير يرجى وهو جدير ان
يكون شرا يتقى ولمثل هذا قيل منع الجميع ارضى
للجميع وعطا يكون المنع ارضى منه خسران مبين
فاما اذا كان البذل والعطا عن سوال وطلب
فشروطه معتبرة من وجهين احدهما في السايل
والثاني في المسوول فاما ما كان معتبرا في السايل
فثلثة شروط فالشرط الاول ان يكون السوال

لسبب والطلب لموجب فان كان لضرورة ارتفع
عنه الحرج وسقط عنه اللوم وقد قال
بعض الحكماء الضرورة توقح الصورة
وقال بعض الشعراء
الا قبح الله الضرورة انها تكلف اعلى الخلق ادنى الخلائق
ولله در الاختيار فانه يبين فضل السبق من غير سابق
وقال المتلمس
اذا لم يكن الا الاسنة مركب فلا راى للمضطر الا ركوبها
فان ارهقت الضرورة ودعت الحاجة فما هو اولى
الامرين ان يكون وان جاز ان لا يكون فالنفس المسامحة
تغلب الحاجة وتسمح في الطلب وتراعي ما استقام
به الحال واستطم به الامر وان نالته ابدلة ولحق
وهن وتناول صاحبها قول البحتري

وربما كان مكروه الامور الى محبوبها سببا ما مثله سبب

تم النصف الاول من كتاب ادب الدين والدنيا تصنيف
اقضى القضاة ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماوردي رحمة الله عليه ويتلوه النصف
الاخير ان شاء الله تعالى وحده واوله والنفس
المترفعة تطلب الصيانة وتراعي النزاهة وتحمل
من الضر ما احتملت وقد انشد ما اطاقت لتستقي
بحملها ويقوم نصف ثمنا

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد
واله الاكرمين الطاهرين